

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

الجزء الحادى والستون

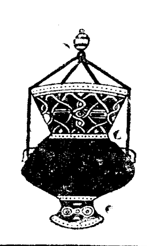
ربيع الأول ١٤٠٨هـ - نوفمبر ١٩٨٧م

الفهرس

تصدير :

بحوث ومقالات :

شخصيات مجمعية :



تصدير

للدكتور مهدى علام

من مكتبتى

تحرك شوق اليوم لصديقين فى مكتبتى ، وهما ابنان لشخص واحد ، أى أن مؤلفهما شخص واحد ، وأحدهما مطبوع بالحروف العادية ، والآخر مطبوع على ما كان يعرف منذ سبعين سنة باسم مطبعة الغراء ، أو «مطبعة البالوظة » . وكانت تستعمل فى طبع ملازم الدراسة فى المدارس والكليات . وهما من تأليف المرحوم الأستاذ حسن توفيق العدل . وقد احتل هذان الكتابان مكانهما فى مكتبتى فى سنة ١٩١٧ م ، وهى السنة التى قبلت فيها فى دار العلوم .

والصلة التى بينى وبين الكتابين ترجع إلى صلة قوية مع مؤلفهما . ذلك أنه قبل ذلك بنحو سنتين ، كان المرحوم الأستاذ أحمد الحملاوى يدرس لنا البلاغة فى مدرسة ماهر باشا ، وكان يومئذ يتكلم عن فن الجناس فى البديع ، فشرح أنواعه ، ومنها الجناس المصحّف فقال : ومن أمثلته قولى مودّعاً زميلى المرحوم حسن توفيق العدل عند سفره الى برلين منتدباً لتدريس اللغة العربية فى جامعتها :

سر فى أمان إلى بِرْلين مُدّرعاً
سيفا من الحزم يُنضِى حده اللسِن
فيها الإشارة ، فاتلوها مصحّفة
البِرُّ والّلين ، أو فالبِرُّ واللبن

وقد تقاسم إعجابى ساعتئذ التوليد الذى ولده تصحيف برلين ، إلى بر ولين وإلى بر ولبن ، واسم الأستاذ الذى كان ذاهباً إلى هذه المدينة الثرية بمدلولها البلاغى . وفى آخر الدرس سألت الأستاذ الحملاوى عن هذا الشخص الذى ينتدب للتدريس بجامعة برلين ، فحدثنى عنه ، وسألت عن مؤلفاته فاهتديت إلى بعضها . ومن ذلك الوقت اتجهت إلى سلوك سبيله فى التعلم . ولما عرفت أنه تخرج من دار العلوم ، استقرر رأيى على أن أتقدم للامتحان الذى يعقد للقبول ، عندما أبلغ السادسة عشرة ، وهى أصغر سن يسمح فيها بالالتحاق بالمدارس العليا .

وكان من حسن حظى أننى اجتزت الامتحان التحريرى والشفوى الذى كان سبيل الالتحاق فى حقبة من تاريخ دار العلوم . وظل ذلك المثل الأعلى الذى نشأ من بيت من الشعر

أمامى حتى تخرجت ، وبعثت فى بعثة علمية إلى إنجلترة : وفى أثناء وجودى فى إنجلترة زوت ألمانيا لاعتبارات لغوية ؛ ولكننى كان معى كتاب حسن توفيق العدل : « رسائل البشرى ، فى السياحة فى ألمانيا وسويسرا » ؛ فزرت الأماكن التى زارها فى ألمانيا ، وصورتها ، ووضعت صورها فى مسجل كتبت عليه بالحبر الأبيض :

سر فى أمان إلى برلين ، مدرعاً
سيفا من الحزم ينضى حده اللسن
فيها الإشارة ، فاتلوها مصحفة
السر واللين أو فالسر واللبن

أما الكتابان الصديقان فى مكتبتى فهما :

١ — تاريخ آداب اللغة العربية .

٢ — المقامة العدلية .

والكتاب الأول مجموعة المحاضرات التى كان المرحوم حسن توفيق العدل يلقيها على طلابه فى دار العلوم ، بعد أن عاد من ألمانيا .

وهى أول محاولة لتأريخ الأدب العربى ، على الطريقة الحديثة ، التى استمرت عشرات الأعوام ، بتقسيمه إلى عصور ، ووصف هذه العصور بأهم سماتها ، بعد أن كان يتبع فى تدريسه النظام التقليدى فى كتب الأمالى والكامل ونحوهما . كانت نشأة هذه المذكرات قبل أن أدخل دار العلوم ، بل قبل أن أولد (فقد كانت وفاة المؤلف سنة ١٩٠٤) ، ولكن هذه المذكرات ظلت تطبع على مطبعة الغراء كل عام ، ويقتنيها الطلاب إلى جانب ما كان لديهم من مذكرات أساتذتهم الممارسين والنسخة التى عندى هى ثمرة لهذا التقليد التقديرى لها ولمؤلفها .

أما الكتاب الثانى فهو مقامة على النسق الحريرى والبديعى . وفى المقدمة التى أولها قصة لها ، سأقدمها مع تاريخ حسن توفيق العدل فى التصدير التالى للعدد الذى يلى هذا من مجلة المجمع .

محمد مهدى علام
نائب رئيس المجمع والمشرف على المجلة



Mahdi Allam
1927

تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف

حضرة الأستاذ الفاضل المرحوم

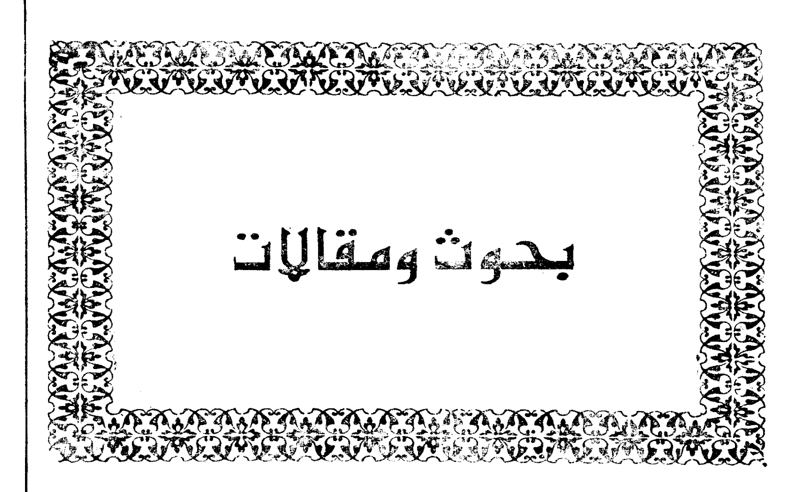
حسن أفندي توفيق

فصل ثالث سنة ثانية

سنة ١٣٣٢ — ١٩١٤

سنة ١٣٣٣ — ١٩١٥

صفحة الغلاف للجزء الأول من مذكرات الأستاذ حسن توفيق العدل، وكنا نتبادل طبعها على مطبعة الغراء بعد وفاته، وهذه بعد وفاته بعشر سنوات.



بحوث ومقالات

لغات في خدمة المعجم الكبير

للدكتور أحمد السعيد سليمان

وما كان أجدر المعجم الكبير بأن يسمى معجم العربية الأكبر فهو أغزر المعجمات العربية مادة ، وأكثرها عدد كلمات وأوفرها شواهد شعرية ونثرية .

لم يأخذ المجمع فيه برأى أصحاب اللغة الأساسية الذين طالبوا بنفى القديم والمهجور والحوشى من معجماتنا ، أو لعل المجمع إذ لم يستجب لهم فى معجمه الكبير استجاب لهم فى معجمه الوسيط فأخلاه تماماً من الغريب ، والنادر والحافى وما أبطل التطور الحضارى استعماله ، وأحل محل هذا كله طوائف من الصحيح الشائع ، فكان المعجم الوسيط بمانفى من الغريب ، وبما أحل من المأنوس المستعمل خير معجم للعربية الأساسية وربما كان الأول .

وقرر المجمع أن يستودع معجمه الكبير لغة العرب بشواردها وأوابدها ومعربها ، ودخيلها ومولدها تلبية لما يتطلبه قراء العربية فى مختلف عصورها ، ومن أجل هذا لم يقنع المجمع بالمعجمات العربية مصدراً لمادته ، على كثرة هذه المعجمات وتنوع مناهجها ، وإن من أعضائه وخبرائه ومحرريه لمن يغوصون فى المخطوط والمطبوع يستخرجون فوات المعجمات العربية من الألفاظ والمعانى لتدرج فى المعجم العربى لأول مرة موصلة مفصلة مشروحة شرحاً اشتقاقياً .

وهذا الذى كتبه على نفسه من التأصيل وبيان الاشتقاق وهو ما تخففت منه الأكاديمية الفرنسية فى تحرير معجمها الفرنسى ، فقد التزمت منذ قيامها فى سنة ١٦٣٤ بأن ترصد المستعمل من صحاح الفرنسية فتسجله فى معجمها لا تسجل معه غيره من الدخيل أو الدارج ولا تبحث فى اشتقاق أو تاريخ .

وقد وافق المجمع هذه الأكاديمية فى أمر الاصطلاحات العلمية ، فكلاهما لا يأخذ من هذه الاصطلاحات إلا الشائع الذى يحتمل وروده فى الكتب غير المتخصصة .

ولم يكن المعجم الكبير فى حرصه على التأصيل والاشتقاق بدعاً فى المعجمات العربية فإنها ، قديمها وحديثها ، نصت على المعرب وحاولت تأصيله ، بل لقد أفرد المعرب بكتب مشهورة مثل كتاب « المعرب من الكلام الأعجمى » للجواليقى ، وكتاب « المعرب والدخيل » لمصطفى المدنى ، وكتاب « التذييل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل » لمحمد بن أحمد العذرى البشبيشى ، وكتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجى .

وقد درس المجمع هذه الكتب وغيرها من كتب المعرب ومحصها وأخذ منها وترك وصحح بعض الأخطاء الشائعة فيها .

فقد كان يظن مثلا أن أصل « إبريق » هو اللفظ الفارسى « آبريز » ، وكنا نتساءل ما حمل العرب على قلب الزاى قافاً فلا نجاب ثم زعم لغو تركى أن « إبريق » هو اللفظ التركى « إوريق » وتجاهل أنهما لفظ واحد وأن واو إوريق التى تنطق (ف / V) هى باء الإبريق أسىء نطقها ، ثم أذن الله أن يشفى الغلة فوقعنا على القول الفصل فى مستدرك دوميناز على المعجمات التركية فقد رجع الإبريق إلى الكلمة اليونانية إمبريكس وصدقت المعجمات اليونانية قول دوميناز .

وكنا نظن أن الآلة الموسيقية المعروفة بالبربط إنما هى من الكلمتين الفارسيتين : (بر) بمعنى الصدر ، و (بط) اسم الطائر المعروف وأنها سميت بذلك لشبهها بصدر البطة ، ثم رأينا علماء الفارسية من أصحاب اللغة أنفسهم يرجعونها بعد طول البحث إلى الكلمة اليونانية Barbitos (باربيتوز) التى دخلت فى الفهلوية فى صيغة بربط Barbut

وهكذا لا يدرج فى المعجم الكبير إلا الصحيح المصفى مما ورد فى المعجمات العربية ومعجمات المعرب والدخيل ، وإلا ما يستخرج من بطون الأسفار مما أغفله أصحاب المعجمات .

ولقد كان من نتائج البحث فى المعرب أن وقفنا على قواعد للتعريب يمكن أن تقضى على الخلاف بين المعربين المحدثين فقد لوحظ مثلا أن العرب فى الشام يقلبون الكاف الفارسية غيناً فيقولون غوته Goethe جوته ويقولون ديغول Degaul فى Degaul والمأثور عن العرب أنهم كانوا يقلبون هذه الكاف جيما فقد قالت العرب فى كورب جورب وفى كهبز جهبذ وفى زركون زرجون وفى آبكون آبجون ولكنهم قالوا فى آذركون آذريون بالياء وهو قلب نادر والرأى أن نقلب الكاف جيما فى المعربات الجديدة لكيلا تتفرق بنا السبل فى نقل الاصطلاحات وكتابة الاعلام ، هذا كله فى المعرّب .

فأما العربى المحض فإن المعجم الكبير يضع فى رأس كل مادة نظائرها السامية فى زهاء عشر لغات : البابلية وعبرية التوارة والآرامية اليهودية والآرامية

الفلسطينية المسيحية والأكدية والحبشية والأوجاريتية والعربية الجنوبية القديمة والعبرية المتأخرة .

فهذه مجموعة من اللغات منها السامى ومنها الهندى الأوروبى كالفارسية ومنها الأورالى الآلتائى كالتركية كلها فى خدمة المعجم الكبير .

صنع الله للغة كتابه وحببها إلى قلوب الأجيال الصاعدة من أبناء العرب .

احمد السعيد سليمان
عضو المجمع



تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب التعليم العلمي الجامعي

للدكتور عبد الكريم خليفة

كم هو صعب أن يختار المرء هديته عندما تكون المناسبة جليلة القدر ، تشيع في أجوائها شذا الحب والاحترام والولاء . فلم أجد تحية أجمل وقعاً على نفسي ولا أصدق تعبيراً ، أقدمها بين يدي المجمع الشيخ بالقاهرة ، في عيده الخمسين غير باقة ترمز إلى مشاركة متواضعة قام بها مجمع اللغة العربية الأردني في خدمة لغتنا العربية الخالدة ، لغة القرآن الكريم لكي تستعيد قدرتها على استيعاب مطالب العلوم والفنون في تقدّمها . ونحن مجامع وشعوب ننتمي إلى هذه اللغة وهل هنالك أسمى من الانتماء إلى هذه اللغة الشريفة وكتابها الخالد ؟ وهل هنالك علاقة أسمى من علاقة الشقيق بشقيقه والتلميذ بشيخه ؟

فإذا تحدثنا عن مجمعنا الشيخ بالقاهرة في عيده الخمسيني ، فنحن نتحدث عن هوية حددت بدايتها الزمنية وثيقة ميلاده ، أي مرسوم تأسيسه ، ولكن إذا نظرنا إليه من حيث هو فكرة ومدرسة في خدمة العربية وتراثها فإن جذوره تضرب بعيداً في أعماق تاريخنا العربي الإسلامي . ولا شك أن تاريخ العناية باللغة العربية . وتاريخ نشوء مدارسها ومجامعها في مصر الشقيقة يعكس سيرة هذه الأمة في التقدم والتحرر .

انطلق مجمعنا الشيخ بالقاهرة ، بعلمائه الأفذاذ ، يبحث كل ماله شأن في تقدم اللغة العربية والحفاظ على سلامتها ، وقد أدرك منذ البداية وعلى حدّ تعبير رئيسه الجليل الأستاذ الدكتور مدكور : « إنه لايمكن أن تتحقق نهضة علمية بدون

نهضة لغوية واصطلاحية تسير معها جنباً إلى جنب » . وكان للبحوث العلمية التى قدمها علماؤنا وأساتذتنا فى مجمع القاهرة ، دور أساسى فى تلمّس وسائل النهوض بمتن اللغة لاسيما فى مجال الوضع وإطلاق القياس وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان والتسليم بالتعريب والا تدا بالكلمات المولدة وتسويتها بالأصلية . وبذلك فقد أرسى قواعد أساسية يمكن أن تشارك فى صياغة منهجية علمية موحدة لنقل العلوم والمعارف والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية ، وإلى إيجاد لغة علمية عربية موحدة . وكان لمجمعنا الزاهر بالقاهرة جهود متميزة فى مجال المصطلحات العلمية فأضحى بحق حجة فى هذا الباب إذ أخرج منذ سنة ١٩٤٢ ، حوالى عشرين مجموعة اشتملت على أكثر من خمسين ألف مصطلح فى العلوم المختلفة .

وقد شاءت السياسة الاستعمارية أن تمزق أمتنا إلى كيانات سياسية ودول ورثنا حدودها ، كما رسمها لنا الأجنبى ، وبتنا مع الأسف ، نستميت فى التحزب لها والدفاع عنها فى عهود ما يسمى بالاستقلال والتحرر من الاحتلال الأجنبى المباشر . وبقيت اللغة العربية ، وقد حفظها القرآن الكريم ، صامدة أمام هجمات الاستعمار وأعوانه ومؤامراتهم من أجل النيل من وحدة أمتنا وهويتها . . . وقد نتلفت حولنا ، فى كثير من الأحيان ، وقد ادلهمت الخطوب واكفهرت الأجواء بين الأشقاء ، فلا نجد سوى القرآن الكريم ولغته العربية الخالدة ، سياجاً يحفظ وحدة أمتنا فى مشاعرها وصفاء انتمائها ، وإرادتها فى البقاء أمة حية معطاءة بين الأمم تشارك كما شاركت عبر القرون فى صنع الحضارة العالمية وتقدم المعرفة الإنسانية . .

ولا شك أن هذه المفاهيم السامية التى تتغلغل فى ضمير أمتنا . وتمتد جذورها بعيدة فى تراثها عبر القرون ، هى القوة الكامنة التى تدفع أبناء العروبة وعلماءها فى أقطارهم المختلفة ، لكى ينهضوا نحو خدمة اللغة العربية والإسهام فى تقدّمها والعمل على احترامها ورفعة شأنها .

ومن خلال هذه المفاهيم ، فقد انطلقنا فى مجمع اللغة العربية الأردنى ، لكى نشارك بجهد متواضع فى خدمة العربية التى تعتبرها جوهر هويتنا والرابط المتين

فى وحدتنا. وأننا نعتبر مجمعنا فى الأردن، رمزًا للتعبير عن إرادة هذا البلد العربى الأصيل، بإمكاناته المادّيّة المحدودة، من أجل خدمة اللغة العربية، لغة العروبة والإسلام، ولا أدلّ على ذلك من ظهور مجمع اللغة العربية الأردنى، لأول مرة سنة ١٩٢٤ مصاحباً لظهور الكيان السياسى الأردنى .. وعين رئيسه وأعضاؤه، وكان منهم الشيخ أحمد شاكر الكرمى، ومحمد كرد على، ومحمد إسعاف النشاشيبى والأب انستانس الكرمى، ولكن شاءت الظروف أن لا يستمر هذا المجمع، لقلة المال والرجال، على حدّ تعبير الأستاذ الرئيس محمد كرد على، رئيس المجمع العلمى بدمشق، مجمع العروبة الرائد.

وفى سنة ١٩٦١ م أنشئت اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر فى وزارة التربية والتعليم، واستمرت هذه اللجنة فى عملها حتى نهاية شهر أيلول سنة ١٩٧٦م حين بدأ مجمع اللغة العربية الأردنى عمله. ومنذ البداية، كان لنا شرف الانضمام إلى اتحاد المجـامع العربيـة، وإن النظرة التى ينطلق منها مجمع اللغة العربية الأردنى، تتحدد بوجوب وجود مجمع واحد للغة العربية، وأننا نتطلع إلى ذلك اليوم القريب إن شاء الله، الذى يتطور فيه اتحادنا هذا لكى يصبح مجمعًا واحدًا، ترفده أقطار العروبة فى مختلف أصقاعها بجهود علمائها وباحثيها، من أجل أن تلحق أمتنا بركب الحضارة وتشارك مشاركة أصيلة فى بنائها.

وقد رأى مجمع اللغة العربية الأردنى، أن القضية الكبرى التى يجب أن تطرح أمام اتحاد المجامع العربية، هى قضية تعريب التعليم الجامعى فى جميع مجالات المعرفة وفى مختلف مستوياته. وبعبارة أخرى فقد حان الوقت لكى تصبح القضية الأولى أمام المجامع اللغـوية والمؤسسات العلمية العربية، قضيّة وجوب جعل اللغة العربية لغة التدريس الجامعى والبحث العلمى فى جميع مجالاته ومراحله.

وإن تعريب التعليم الجامعى وجعل اللغة العربيّة لغة البحث العلمى والتقنيات الحديثة ضرورة حتميّة تقتضيها مصلحة الأمة العربيّة، وتُمْليها المواطنة الصادقة المخلصة والغيرة على شخصية الأمة وتراثها المجيد، وتفرضها الإرادة من أجل النهوض

بالأمة واللحاق بركب الحضارة الإنسانية والمشاركة المبدعة فى بنائها .

ولهذه الأسباب جميعها ، فقد رأى مجمع اللغة العربية الأردنى أن يتجاوز مرحلة المناداة بالمبادئ ، والحوار والمناقشة حول قدرة اللغة العربية وأهليتها وتجاربها التاريخية إلى مرحلة التطبيق العملى . فقرّر أن يتبنى – على الرغم من إمكاناته المادّيّة المحدودة – مشروعاً محددًا فى مجال تعريب التعليم العلمى الجامعى ، ويشتمل هذا المشروع على ترجمة جميع الكتب العلميّة التى تُدَرّس فى كليّة العلوم فى الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك . واختار كلية العلوم ، لأنها الكلية الأساس التى تقوم حولها جميع كليات العلوم التطبيقيّة ، مثل الطب والصيدلة والهندسة والزراعة . الخ .

ومن أجل تنفيذ هذا المشروع ، بدأ المجمع اتصالاته . فاتصل بأعضاء الهيئة التدريسية المختصة بكليتى العلوم فى الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك ، وقد وجد هذا المشروع ترحاباً من أكثر علمائنا فى هاتين الجامعتين . وغنى عن البيان أن أقول : إنّهم جميعـاً فى الذروة فى مجالات تخصصاتهم ، وهم أيضاً من خريجى أشهر الجامعات الأجنبية .

بدأ المجمع بتنفيذ المرحلة الأولى من مشروع تعريب التعليم العلمى الجامعى ، ويقضى بترجمة الكتب العلميّة المقرّرة بكليتى العلوم فى الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك للسنة الأولى فى حقول : الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء والجيولوجيا .

وبعد أن تمّ اختيار الكتب العلمية المقررة ، على أساس أحدث الكتب العلمية وأعلاها مستوى ، قام المجمع بتعميم هذه القائمة على جميع الجامعات والمؤسسات العلميّة فى الوطن العربى ، يشرح لها مشروعه ويعلمها بنيته ترجمة هذه الكتب إلى العربيّة ، وأنّه إذا كانت هنالك أية جهة تقوم بترجمة بعض هذه الكتب فسيقوم المجمع باختيار كتب أخرى وذلك لكى يتم التنسيق ولا يتكرر الجهد .

وبعد أن تلقّى المجمع إجابات مشجعة قام باختيار لجان علمية مختصة وحرص على أن يكون معظمها من أعضاء هيئة التدريس الذين يتولون تدريس هذه

المواد فى الجامعتين الأردنية واليرموك . وشارك معهم أعضاء متخصصون من مجمع اللغة العربية الأردنى ، وقد حرص المجمع على أن يستفيد من تجارب المجامع والجامعات العربية فى هذا المجال ، فوضع بين أيدى اللجان المختصة ، التى كلفها بالترجمة ، جميع ما أنتجته مجامعنا اللغوية فى القاهرة ودمشق وبغداد من مصطلحات علمية وكذلك جميع ما أنجزته مؤتمرات التعريب والمؤسسات العلمية فى الوطن العربى ، وفتح لهم أيضا باب الاجتهاد ، على أن ينتهى كل كتاب بقائمة بالمصطلحات العلمية التى استخدمت ومقابلاتها باللغة العربية وأن ترتب ترتيبا هجائيا ، وذلك لكى تطرح أمام اتحاد المجامع العربية والمؤسسات العلمية فى الوطن العربى بغية توحيدها . فإن حرصنا على تعريب جميع العلوم لا يوازنه سوى حرصنا على توحيد جميع هذه المصطلحات وبالتالى أن تكون لنا لغة علمية عربية واحدة . فإنه لخطر كبير أن تنشأ لغات علمية عربية ويصبح الباحث العربى فى قطر لا يفهم ما يكتبه عالم فى قطر آخر نتيجة اختلاف المصطلحات والرموز العلمية . . . وهكذا فنحن نعتبر وحدة اللغة العلمية قضيّة أساسية لا يمكن التهاون بها .

كان المجمع يختار لكل كتاب لجنة من المتخصصين ، ويحرص فى غالب الأحيان أن يشرك أكبر عدد ممكن من ذوى الكفاءات ، ولا يلجأ إلى مترجم واحد إلا عند الضرورة القصوى . وكان العمل يقسم بين الزملاء ، أعضاء اللجنة التى تتولى الترجمة ، بالاتفاق فيما بينهم ، إذ يقوم كل عضو بترجمة الجزء الذى يخصه ، ويتولى مهمة الإشراف أحد الإخوة المختصين من أعضاء اللجان وأحيانا من أعضاء المجمع ، وذلك للمحافظة على وحدة الكتاب ، والحرص على وحدة المصطلحات العلمية المستعملة فى الكتاب الواحد .

وقد استفدنا من تجاربنا المتواضعة فأصبحت الترجمة النهائية يجيزها مراجع علمى ، ثم مراجع لغوى ، تكون مهمته فقط تصويب الأخطاء النحوية

والتراكيب اللغوية ، ونحرص على أن يكون المترجم ذاته — إن أمكن — هو الذى يشرف على الطباعة ، وتدقيق تجاربها .

وقد أنجز المجمع المرحلة الأولى من مشروع تعريب التعليم العلمى الجامعى وصدرت من منشوراته الكتب التالية ، وقد توخى أن تكون من أفضل الكتب العلمية وأحدثها ، وهى :

١ ــ كتاب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية ، تأليف سووكووفسكى وصدر الكتاب فى جزأين .

٢ ــ كتاب الجيولوجيا العامة ، تأليف روبرت فوستر ، وصدر فى جزء واحد .

٣ ــ كتاب البيولوجيا ، تأليف غولد سبى ، وصدر فى جزأين .

٤ ــ كتاب الكيمياء ، تأليف فورد ريك لونفو ، وصدر فى جزء واحد .

٥ ــ كتاب الفيزياء ، تأليف فورد ، وهو فى ثلاثة أجزاء ، صدر الجزء الأول وسيصدر الجزءان الثانى والثالث منه قريبا .

وفى المنهجية التى يتبعها المجمع ، رأى أن يقوم بتقويم هذه المرحلة ، قبل أن ينتقل إلى المرحلة الثانية ، وبالفعل فقد طلب إلى عضوين من أعضاء هيئة التدريس فى جامعة اليرموك وهما من المتخصصين (بالتقويم) ، أن يقوما بدراسة علمية موضوعية لتقويم هذه المرحلة . وقد قاما بهذه الدراسة سنة ١٩٨١ م ، وقدّمت إلى مجمع اللغة العربية الأردنى تحت عنوان : « تقويم المرحلة الأولى فى تعريب التعليم العلمى الجامعى التى تبناها مجمع اللغة العربية الأردنى » وتقع هذه الدراسة فى خمس وثلاثين صفحة ، وثلاثة ملاحق تقع فى تسع وثلاثين صفحة . وكانت هذه الدراسة على غاية الأهمية ، فقد حددّت المشكلة وألقت الضوء على أهميتها وشملت الدراسة طلبة السنة الأولى فى الجامعتين الأردنية واليرموك الذين درسوا كتب الرياضيات والأحياء والجيولوجيا التى تمت ترجمتها من اللغة الإنجليزية إلى

اللغة العربية فى العام الجامعى ١٩٨٠ – ١٩٨١[1] .

وكذلك شملت الدراسة أعضاء هيئة التدريس فى الجامعتين الأُردنيـة ، واليرموك الذين درّسوا كتب الرياضيات والأحياء والجيولوجيا ، التى ترجمت من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وقد دُرست باللغة العربية لطلاب السنة الجامعية الأُولى فى العام الجامعى سنة ١٩٨٠ – ١٩٨١ . . . ، وكـذلك شملت المترجمين وعملية الترجمة ، منهجا وأُسلوباً .

وتمخضت هذه الدراسة القيمة عن التوصيات التالية :

١ – مشاركة الغالبية العظمى ممن لهم علاقة فى عملية التدريس فى الجامعات الأُردنيـة فى اختيار الكتب العلمية الجامعية للترجمة ، وإتاحة الفرصة للمتخصصين فى موضوعات هذه الكتب ولمن لهم خبرة فى مجال الترجمة لمشاركة مدرسى الجامعات فى عملية التعريب على أن توضع معايير محددة لاختيار تلك الفئات .

٢ – تشجيع مجمع اللغة العربية الأردنى على مواصلة تبنى عملية تعريب التعليم العلمى الجامعى فى الأُردن بالتعاون مع إدارات الجامعات الأُردنية والأَقسام المختصة وخاصة عند اتخاذ قرارات اختيار الكتب المنوى تعريبها بحيث يكون ذلك الاختيار لتلك الكتب ولمترجميها فى ضـوء معايير محددة وواضحة يتفق عليها المعنيون بالأَمر .

٣ – ترك الحرية للمترجمين للتصرف فى ترجمة بعض الأُمور التى لا بد لهم من التصرف فى ترجمتها ، وعـدم التمسك بالترجمة الحرفية وبخاصة عندما يلاحظ هؤلاء المترجمون قصور الترجمة الحرفية فى إعطاء المعنى الحقيقى باللغة العربية كما هو باللغة الإنجليزية .

---

(١) وعلى الرغم من النتائج الباهرة لعملية التدريس باللغة العربية ، إذ نزلت نسبة الرسوب مثلا فى مادة الأحياء من ٣٥ ٪ عندما كانوا يدرسون باللغة الإنجليزية إلى ٣ ٪ عندما درس الطلبة باللغة العربية ، فى حين أن الطلبة على حد تعبير أساتذتهم درسوا باللغة العربية مادة أوسع وبصورة أعمق وأدق ، وعلى الرغم من هذا كله ، فقد عاد المسئولون فى العام الجامعى التالى إلى التدريس باللغة الإنجليزية .

٤ - تحويل طباعة الكتب بعد عملية ترجمتها إلى الجهات التى لها خبرة جيدة فى الطباعة والإخراج وأن تتولى عملية تدقيق الكتب بعد عملية ترجمتها فئات متخصصة فى موضوعات الكتب التى يتم تعريبها .

٥ - مراعاة مجمع اللغة العربية الأردنى للمعايير التى أوردها المترجمون والمدرسون لاختيار الكتب العلمية التى ستترجم ، وكذلك المعايير التى حدّدوها لاختيار المترجمين .

٦ - مواصلة السعى لاستصدار قرار سياسى لتعريب التدريس الجامعى ، ومواصلة ترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية فى الجامعات الأردنية .

٧ - مواصلة عملية تقويم تعريب التدريس الجامعى وترجمة الكتب العلمية الجامعية فى الجامعات الأردنية باستمرار .

وقد أولى المجمع عنايته الكاملة للنتائج التى توصلت إليها هذه الدراسة ، فوضع معظم هذه التوصيات موضع التنفيذ . وفى ضوء ذلك انتقل المجمع إلى المرحلة الثانية من مشروعه فى تعريب التعليم الجامعى . وتقضى المرحلة الثانية بترجمة جميع الكتب العلمية فى مستوى السنة الثانية وبالفعل فقد جرى اختيار هذه الكتب ، وفق معايير محددة ، وأن طبيعة هذه المرحلة العلمية المتقدّمة قد فرضت تعدد الكتب فى مجال الاختصاص الواحد .

وبالفعل ظهر من كتب المرحلة الثانية :

١ - الجبر المجرد ، تأليف ديفد سون وجيوليك .

٢ - مقدمة للتكوين الجنينى ، تأليف ستيفن أو بنهايمر .

٣ - مقدمة للبصريات الكلاسيكية ، تأليف جرجين ماير .

وسيصدر قريبا إن شاء الله عدد آخر منها . وأما الكتب الأخرى فما زال بعضها بين أيدى المترجمين وبعضها الآخر بين أيدى المراجعين العلميين . والمراجعين اللغويين . . .

ويمضى مجمع اللغة العربية الأردنى فى مشروعه هذا وفق خطته ، وضمن إمكانات مادية محدودة ، غير زاعم

لنفسه القدرة على إنجاز هذه المهمة الجليلة ، ولكنه يأخذ على عاتقه تعميق هذا الاتجاه ، وإعطاء المثل العملي للقدرة على التعريب . . . فإن الهدف الذي يجب أن تسعى إليه أمتنا ، هو تعريب العلوم من حيث هي علوم . . . أي تعريب علم الرياضيات من حيث هو علم . . . وتعريب علم الفيزياء من حيث هو علم . . . وليس ترجمة كتاب في الرياضيات من هنا وترجمة كتاب في الفيزياء هناك . . . ووضع مئات من المصطلحات العلمية في هذا المجال العلمي أو ذاك .

قضايا ومشكلات :

كان مجمع اللغة العربية الأردني يعلم يقيناً مدى حجم المهمّة عندما تبنى في مجالات عمله ، مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي ، ويعلم كذلك أن هنالك صعوبات ومشكلات مهمة تحتاج إلى الجهد والصبر والأناة من أجل التغلب عليها

انطلق المجمع بالترجمة من حيث هي نَقْلُ مادّة الكتاب من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية ، ولكن الهدف الذي يسعى إليه هو تعريب العلوم ، لا ترجمتها فقط . ومن هذا فقد سمّى مشروعه : « تعريب التعليم العلمي الجامعي » وليس « ترجمة الكتب العلمية الجامعية » ، فالمجمع يحرص في النهاية على تحويل المادة العلمية من مادة غريبة عن العقل العربي واللسان العربي والتداول اليومي إلى مادة قادرة على التمازج مع الفكر العربي واللسان العربي ، وذلك من خلال تفاعل حقيقي وخصب بين المادة العلمية واللغة ولا غرو إذا جعل جهوده في الترجمة تتضافر مع جهوده على جميع المستويات لكي تصبح اللغة العربية لغة التدريس الجامعي وأن يحقق نَقْل هذه الكتب إلى اللغة العربية التفاعل بين اللغة العربية والعلم . فيتداولها الطلبة وأساتذتهم في محاوراتهم ومحاضراتهم وتجاربهم ومختبراتهم . . ويتعدى مجال هذا التداول إلى أصحاب المهن والحرف وغيرهم في المجتمع . وأن هذا هو السبيل الوحيد لتأصيل الفكر العلمي في مؤسساتنا العلمية بصورة خاصة وفي مجتمعنا العربي بصورة عامة

فاللغة العلمية شأنها شأن اللغة الأدبية لا تَحْيا إلا بالاستعمال والتداول ولا تَحْيا ببقائها فى بطون الكتب أو فى مجلدات من المصطلحات العلمية تتجمع على رفوف مكتبات المجامع اللغـوية والجامعات . . . وسوف لا أتطرق فى هذا البحث إلى المشكلات والصعوبات المادية التى واجهها المجمع فى عمله هذا من حيث مشكلة اختيار المترجمين من ذوى الكفاءات العلمية واللغوّية العالية أو فيما يتعلق بمسيرة الترجمة والانضباط الزمنى أو فى عملية الطباعة وغير ذلك من الصعوبات المادية ، ولكننى سأقف عند بعض القضايا التى طرحتها تجربتنا المتواضعة فى مجمع اللغة العربية الأردنى ولا سيما فيما يتعلق بالدقة فى الترجمة وبموضوع التنسيق فى الأسلوب والحرص على وحـدة الكتاب المترجم والوقوف أيضاً عند أهم هذه القضايا وهى الرموز والمعادلات والمصطلحات العلمية .

حرص المجمع على الدقة فى الترجمة ، فاشترط على المترجمين ، أن تتوافر فى ترجماتهم الأمانة العلمية والدقة المتناهية فكان المجمع مضطرا فى بعض الأحيان إلى رفض بعض الترجمات التى لا ترْقى إلى المستوى العلمى المطلوب ، ويكلف خبراء آخرين إعادة ترجمتها من جديد . وقد يكتشف أيضاً وجود أمور غير كاملة بعد دَفْع الكتاب إلى المطبعة فيضطر المجمع إلى إصلاحها . . . وان الدقة فى الترجمة تفرض ولا شك أن تكون اللغة صحيحة التركيب واضحة الأسلوب ، وأن تؤدى الحقيقة العلمية بشكل واضح ومفهوم ، وأن تستعمل مصطلحات علمية موحدة . . فكان يشترط على من يعهد إليهم بالمشاركة فى ترجمة كتاب واحد ، أن ينسقوا فيما بينهم وأن يوحدوا مصطلحاتهم ومع ذلك فكان يضطر فى بعض الأحوال إلى ندب أحـد الأساتذة المتخصصين بالمادة لصياغة الكتاب من جديد حرصا على وحدة الكتاب ، أسلوبا ومنهجا . .

وأن أهم قضية تواجهنا فى عملية تعريب الكتب العلمية الجامعية ، تتمثل بموضوع تقرير المصطلح الواحد والشكل الواحد والرمز الواحد حتى يصل هذا الشكل أو المصطلح أو الرمز بصورة واحدة إلى جميع الطلاب وفى جميع

« العلوم » ومن جميع « الأساتذة » وفى جميع الكتب .

اشترط المجمع أن ينتهى كل كتاب بثبت بالمصطلحات العلمية التى استخدمت فيه وبوضع مقابلاتها باللغة العربية : وقد لاحظ أن هذه المصطلحات كان كثير منها جديدا أو مغايرا لبعض ما هو وارد فى المجموعات التى أصدرتها المجامع اللغوية والمعاجم المختصة ولذا قام المجمع بدراستها وإقرارها ، وفق منهجه فى العمل ، لكى يلتزم بها المترجمون فى الترجمات التالية تجنبا لنشوء أكثر من لغة علمية واحدة فى مشروع واحد . وتوطئة لدراستها فى اتحاد المجامع اللغوية ومؤتمرات التعريب ، ولا سيما وأن مؤتمر التعريب الخامس ، قد عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى مجمع اللغة العربية الأردنى سنة ١٩٨٤ كما هو مقرر . . . فالمصطلحات والرموز العلمية يتداخل بعضها فى بعض ولا سيما فى الرياضيات والفيزياء ، والجيولوجيا والأحياء . فإن توحيد المصطلحات المشتركة مثلا بين الفيزياء والرياضيات تصبح ضرورة بالغة حتى تكون لغة الرياضيات هى نفسها فى الفيزياء والإلكترونيات .

وإن طرح هذه القضايا العلمية ، من خلال هذه التجربة المتواضعة يقودنا إلى الوقوف أمام حقيقة الترابط العضوى الوثيق بين العلوم الطبيعية ، باعتبارها جميعاً جوانب مختلفة لتفسير طبيعة الوجود . وهكذا فلا يمكن تعريب الفيزياء بانفصال عن تعريب الرياضيات وتعريب الكيمياء بانفصال عن تعريب الفيزياء وبالتالى فإن المؤهلين لمناقشة مصطلحات ورموز ورسوم وأشكال الكيمياء ليسوا فقط الكيميائيين ، بل هم أيضاً الرياضيون والفيزيائيون والجيولوجيون . . . الخ .

وهكذا فإننا إذا ما تعدينا حدود الترجمة إلى التعريب بمعناه الواسع نواجه مشكلات أساسية بعضها يتعلق بالمصطلحات العلمية والرموز وبعضها يتعلق بوسائل النهوض بمتن اللغة فى مجال الاشتقاق والقياس والنحت والوضع والتعريب . . . وقد كان لمجمعنا الشيخ بالقاهرة جهود خيرة يسجلها تاريخ

نهضة هذه الأمة بالاعتزاز والفخر : فقد يسّر المجمع مثلا من أمر الاشتقاق وفكّ بعض قيوده . . . وجعله أداة طيعة في أيدي الأدباء والعلماء ... وأغنى علماؤه الأفذاذ لغتنا بأبحاث لغوية أصيلة تحتل مكان الصدارة في الاحتجاج الحديث ، وذلك سعيا لجعل هذه اللغة الشريفة ، وافية بمتطلبات العلوم والفنون في تقدمها وملاءمتها لحاجات الحياة في العصر الحاضر .

وإذا كان مجمع اللغة العربية الأردني استطاع وضع مشروع لتوحيد المصطلحات العلمية التي استعملت في الكتب العلمية المترجمة مستعينا بجهود مجامعنا اللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد ، وبما أنتجته مؤتمرات التعريب ، فضلا عما يجتهده ، فقد رأى فيما يتعلق بالرموز العلمية أن يؤلف لجنة خاصة من خيرة العلماء في الرياضيات والفيزياء والكيمياء لوضع نظام كامل ومتكامل لتعريب الرموز العلمية في هذه العلوم ، وقد بدأت هذه اللجنة عملها ، وحدّدت فلسفتها التي تصدر عنها ، وهذه الفلسفة تتلخص بأن لا يلجأ دارس العلوم المختلفة باللغة العربية إلى استخدام حروف أجنبية فقدت إيحاءاتها بالنسبة له ، كما أنها تحرص على أن لا تطلب من القارئ العربي تعلم حروف جديدة . ويسرني أن أعلن أنها قطعت شوطا بعيدا في هذا المضمار ، وأن هذا النظام المعرّب للرموز سيكون ، على حدّ تعبير الخبراء ، أفضل من النظام الحالي الذي يستعمل الحروف اللاتينية ، من حيث شموله ودقته وقابليته للنمو والتطور .

اصداء ونتائج :

جعل مجمع اللغة العربية الأردني من مشروعه في تعريب التعليم العلمي الجامعي. أحد الحقول المهمة في مجالات عمله . فأولاه منذ البداية اهتماما كبيرا . وقد كان لإنجازاته المتواضعة في هذه الفترة القصيرة من عمره ، أصداء ونتائج طيبة ، فإلى جانب الدراسة التقويمية التي قام بها المجمع للمرحلة الأولى من مشروع التعريب ، ظهرت دراسات قيمة قام بها عدد من الباحثين ومنها دراسة ميدانية قام بها أحد الباحثين الشباب من قسم الفيزياء في الجامعة الأردنية وقدّمها إلى المؤتمر الثاني

للفيزيائيين والرياضيين العرب الذى عقد فى عمان فى أيار سنة ١٩٨١ . تحت عنوان : « تعريب التعليم العلمى الجامعى فى الأردن » . وفى حديثه عن كتاب الجزء الأول من كتاب الفيزياء الذى ترجمه المجمع ، يستعرض أهم ركائز المنهجية التى اتبعها المترجم بقوله : « إننا بذلنا جهدا كبيرا فى انتقاء وابتداع المصطلحات العلمية اللازمة ، وحققنا فى أصل كثير منها ، كما حاولنا إرساء الأسس التنظيرية لعملية التعريب برمتها ، مستهلين هذه العملية بوضع إطار شامل فى غاية المرونة لتعريب رموز وحدات النظام الدولى . على أن يكون الهدف الرئيسى فى هذه المرحلة هو إرساء الأساس الذى تقوم عليه عملية التعريب ، تراكم عليه شيئا فشيئا ، بحيث نستطيع أن نستعمل فصلا منطقيا حادا يبتر كل فائض دخيل وثمة هدف آخر لا يقل أهمية يكمن فى إحياء تراثنا العلمى كما يجب أن يكون الإحياء : بمعنى أن ننطلق من الحاضر ، وأن نستخدم أفضل ما فى بطون الكتب — كتب التراث — فى بحوثنا المعاصرة . وهذه فكار بحاجة إلى صقل وتهذيب . والقصد من ذلك ألا ندرس التراث العلمى من حيث هو تاريخ علوم فقط .

ولا شك أن هذه الإشارات ترسم الملامح العامة لمنهجية المجمع فى الترجمة والتعريب وذكر الباحث فى دراسته هذه ، تحت عنوان « الإبداعات التى قدمتها التجربة » ، وقال : « ولكن هذه التجربة — تجربة مجمع اللغة العربية الأردنى — على الرغم من أنها واجهت الكثير من الصعوبات والمشكلات ، إلا أنها قدمت لنا بعض الإبداعات التى برزت فى كتاب الفيزياء . . . ومن الأمور التى عُنى بها المشرف ، الترجمة الأمينة الكاملة ، بما فى ظلاله المتفاوتة وإيماءاته المتباينة حيث أورد بالبنط الأسود ما كان أصلا بالبنط المائل ، وأبقى تبويب الكتاب وترتيبه على حاله بقدر الإمكان ، كما حافظ على روح الأسلوب ما وسعه ذلك ، فلم يحجم عن إضافة كلمة هنا وكلمة هناك ، توخياً للبيان والتبيين . كما قام بترقيم الأشكال الواردة فى ختام كل باب ،

الأصل الذى تركها عائمة هائمة بدون بخلاف أرقام ، وصحّح حفنة من الأخطاء البسيطة الواردة أصلا فى بعض الوحدات والرموز ، كما استخدم إطارا عربياً شاملاً لرموز وحدات النظام الدولى الذى أخذه بتصرف طفيف من المشروع الذى نشره المجمع عام ١٩٧٩ م ، كما قام بتذييل المَتْن بعدد من الحواشى والهوامش أكبر بكثير مما هو مألوف فى مثل هذا العمل ، وترد هذه فى ثلاثة أصناف :

الأول : علمى بحت يفسر ما استغلق من أمور المتن أو يعلق على مدلول رموز علمية غير مألوفة ، ويربط المادة بما يجرى الآن من بحوث وفرضيات ...

الثانى : تراثى ، بمعنى أنه يعود إلى الجذور والأصول محللاً وشارحاً .

الثالث : لغوى بحت ، يلقى الأضواء على أصل أحد المصطلحات أو يحيى كلمة علمية جميلة من تراثنا العلمى . . .

وكان لهذه الدراسة وغيرها من الدراسات العلمية البناءة فى تقويم أعمال المجمع دور كبير فى مسيرة المجمع العلمية وتلمسه الوسائل التى تعينه على تحقيق أهدافه .

وقبل ظهور كتاب الفيزياء هذا ، كان المجمع قد اشترك بمنشوراته فى معرض الكتاب العلمى الذى أقامته بالكويت مؤسسة الكويت للتقدم العلمى فى الفترة الواقعة من ٤ إلى ١٣ تشرين الثانى سنة ١٩٨١ ، وبتاريخ ١٩٨٢/٥/٢٣ تلقى مجمع اللغة العربية الأردنى رسالة من مؤسسة الكويت للتقدم العلمى تفيد أن كتاب «الجيولوجيا» وهو أحد الكتب العلمية التى قام المجمع بترجمتها ونشرها ضمن مشروعه الرامى إلى تعريب التعليم العلمى الجامعى ، قد فاز بجائزة معرض الكتاب العربى السابع لأحسن كتاب مترجم فى العلوم ، وذلك بناء على توصية لجان التقويم .

وقد حرص المجمع على دعم خطته فى ترجمة الكتب العلمية ، بإقامة الندوات العلمية المتخصصة والمشاركة فى المؤتمرات العلمية من أجل تعريب التعليم الجامعى .

وفي برنامج المؤتمر العلمي العربي الثاني الفيزياء والرياضيات، عقدت ندوة حول تعريب العلوم في الجامعات العربية يوم الخميس بتاريخ ٢٧/ ٥ / ١٩٨٢. وقد أكد المشاركون في الندوة أن قضية التعريب لا تنحصر في كونها قضية لغوية، وإنما تتعدى ذلك لتشكل قضية سياسية، تفرض تحدياً قوياً على الأمة العربية، وخيارا بين البقاء في حالة من التبعية أو النهوض بالحضارة العلمية العربية من جديد، لتتمكن الأمة العربية من مجابهة تحديات العصر العلمية. ودعا المشاركون إلى إقامة مؤسسة علمية عربية تحشد فيها خبرة العلماء والمتخصصين العرب، وتكون مهمتها نقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية لتشكل القاعدة الأساسية لبناء نهضة علمية عربية عن طريق الترجمة والتأليف والابداع العلمي.

وقد حرص المجمع على أن يقوم بإهداء نسخة من كل كتاب يترجمه إلى جميع وزارات التعليم العالي والجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي، وكان لهذا العمل المتواضع أصداء طيبة في الخارج والداخل.

واستمر مجمع اللغة العربية الأردني في خطته وفي عمله الدؤوب يمد الخزانة العربية بالكتب العلمية المترجمة إلى العربية، ويستثير همة أبناء هذه الأمة من علمائها الذين يعتزون بتراث أمتهم ولغتهم العربية، لغة العروبة والإسلام.

وبتاريخ ١٢ / ٨/ ١٩٨٣، علقت إحدى الصحف المحلية على كتاب مقدمة للبصريات الكلاسيكية والحديثة فقالت:

« ضمن مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي، ومن منشورات مجمع اللغة العربية، صدر مؤخرا كتاب هام في الفيزياء، وهو « مقدمة للبصريات الكلاسيكية الحديثة » . . . وبعد أن يستعرض الكاتب قيمة الكتاب العلمية والأغراض التي يحققها يقول: ولعل أهم ما يميز الكتاب، عدا عن قيمته العلمية الهامة، ذلك الجهد الواضح جدا الذي بذل في ترجمته وإخراجه، ويبرز هذا من اللغة العلمية الدقيقة

الملاحظة في الكتاب ، ومن سلاسة العبارات والحرص على استعمال المصطلحات العربية المناسبة ، وعلى تشكيل الكلمات هذا إضافة لتلك الأشكال والصور الواضحة والمتقنة . . . إن كتابا من هذا النوع يعد بحق أفضل ما صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني ، ومن أفضل ما ترجم إلى اللغة العربية من كتب علمية ، ولا يساويه في ذلك إلا القليل جداً من الكتب سواء أكان ذلك على مستوى العالم العربي أم على مستوى منشورات مجمع اللغة العربية الأردني . . . [1]

لا أريد في هذا المقال أن أمحِّص هذه الأحكام ، وليس من هدفي أيضاً أن أستقصي ما كتب ونشر في تقييم منشورات مجمع اللغة العربية ، ولكنني أود أن أشير إلى أن هذه الجهود المتواضعة قد أثمرت ، وكان لها أصداء طيبة ، وربما كان من المفيد أن نقف عند بعض المؤشرات ذات الدلالة العلمية والسياسية التي بدأنا نلمسها في جامعاتنا العربية ، وعلى الخصوص في الجامعات الأردنية ، ففي مقال نشره أحد الأساتذة في دائرة الفيزياء بجامعة اليرموك ، في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ٩ / ٩ / ١٩٨٣ يقول :

« ومن خلال تدريسي لمادة الكهرومغناطيسية في دائرة الفيزياء باللغة العربية في الفصل الماضي – الفصل الصيفي – والتي كنت قد درستُها باللغة الإنجليزية في فصول سابقة لمست الفرق الشاسع في تحصيل الطلبة العلمي فقد ارتفعت نسبة النجاح في هذه المادة من حوالي ٥٠٪ عند تدريسها بالإنجليزية إلى حوالي ٨٧٪ عند تدريسها باللغة العربية وأصبحت المادة مرغوبة جدا لدى الكثير من الطلبة بعد أن كانت شبحاً يخشون الاقتراب منه وقد اتضح هذا من كتابات الطلبة في نماذج تقويم المساق التي وزعت عليهم في الحالتين ، والتي توزع بانتظام على الطلبة في دائرة الفيزياء ، وقد تكونت

---

(١) انظر : جريدة الرأي الأردنية في عددها رقم ٤٨١٢ الصادر بتاريخ ١٢ / ٨ / ١٩٨٣ تحت زاوية « المكتبة العلمية » .

ملاحظات مماثلة لدى زملائى الآخرين فى دائرة الفيزياء ، عند مرورهم بتجربة تدريس بعض مواد السنة الأولى باللغتين العربية والإنجليزية »

وفى هذا المقال ذاته ، يقول الكاتب : « وإدراكاً من دائرة الفيزياء فى جامعة اليرموك لأهمية استخدام ، اللغة المناسبة والمفهومة لدى الطلبة فى التدريس فقد بدأت الدائرة بتدريس مواد السنة الأولى باللغة العربية ، ضمن خطة موضوعة لتعريب تدريس الفيزياء فى جامعة اليرموك » .

ومنذ أيام قلائل ، تقدم ثمانون من أعضاء هيئة التدريس فى الدوائر العلمية فى جامعة اليرموك ، بمذكرة إلى المسئولين فى الجامعات الأردنية وإلى رئيس مجمع اللغة العربية الأردنى يعربون فيها عن إيمانهم بالتعريب وعزمهم على التدريس باللغة العربية ، ويقدمون من خلالها مشروع خطة لتعريب التعليم الجامعى فى جميع مجالاته . ومن الجدير بالذكر أن هذه الوثيقة تحمل تواقيع ثمانين عضو هيئة تدريس من أصل مئة وعشرين من من أعضاء هيئة التدريس الأردنيين . وجميعهم فى الذروة من حيث تخصصاتهم العلمية . وكان من بينهم جميع رؤساء الدوائر العلمية ، وعميدان أيضاً من أصل ثلاثة عمداء .

ولا شك أن هذه الأصداء الخيرة ، كانت نتيجة وعى عميق بين الأساتذة والطلبة الجامعيين . وهذا أستاذ آخر فى الرياضيات فى الجامعة ذاتها وجميع هؤلاء الأساتذة . هم فى الذروة فى تخصصاتهم العلمية وقد تخرجوا جميعاً من أحسن الجامعات الأجنبية يقول :

أشارت نتائج استبيان شارك فيه خمسمائة طالب فى دائرة الفيزياء فى جامعة اليرموك إلى أن ٣ر٩٥٪ من الطلبة يتفقون على ضرورة أن يكون التدريس باللغة العربية لتسهيل نقل الأفكار العلمية . كما أشارت إلى أن ٥ر٨٩٪ منهم يؤيدون عملية التعريب . .

وتتوالى الأبحاث والمقالات فى هذا المجال لتؤكد جميعها أن التدريس الجامعى بأية لغة غير اللغة العربية ، من

العوامل الأساسية في ضعفنا العلمي والحضاري . . . وأن العربية قادرة على استيعاب جميع المعارف الإنسانية وأن التعريب مطلب حضاري ، يحفظ للأمة تاريخها وشخصيتها ويضعها على قدم المساواة مع الأمم المتحضرة للمشاركة الفعالة الأصيلة في بناء الحضارة الإنسانية ، لاسيا وأن جميع الدلائل تشير إلى أن الإنسان يخطو نحو فجر حضارة عالمية جديدة منطلقاً من هذا العصر الذي تتفجر فيه المعارف العلمية ، وتتطور بسرعة لاتُجْدِي معها الوسائل التقليدية ، ولا البقاء في التبعية الفكرية والعلمية خارج نطاق التراث والجوهر . وإن لغتنا العربية هي التي تعطي لهذه الأمة هويتها وتمدها بأسباب الحياة .

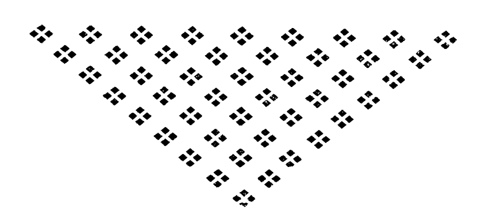
وخلاصة القول ، فإن مجمع اللغة العربية الأردني يمضي قدماً ، بإذن الله ، في جهوده المتواضعة في خدمة اللغةالعربية ، يحدوه الإيمان ، بأن الوقت قد حان لكي تصبح اللغة العربية لغة التعليم الجامعي والبحث في جميع مستوياته ومجالاته ، ولكي تتحول تجربة تعريب العلوم في الجامعات العربية من مجرد كلام ينشر في الكتب إلى ممارسات عملية في الجامعات ومؤسسات البحث العلمي ، تنعكس آثارها في جميع مرافق الحياة .

وإن الفلسفة التي ننزع عنها في المجمع الأردني ، تتمثل بإيماننا بوحدة أمتنا ووحدة لغتها ، ونعتبر أنفسنا لجنة من مجمع لغوي عربي واحد ، وأن العمل الذي نقوم به ليس سوى رافد من روافد هذا النهر الكبير الذي نرجو أن يسقي الوطن العربي ويمده بالخصوبة والخير والبركة . وإنه لمن طبائع الأشياء أن يكون للغة الواحدة مجمع واحد ، ولا نعلم أن لنا لغة سوى اللغة الفصيحة ، لغة القرآن الكريم ، لغة العروبة والإسلام .

وأخيرا فالتحية العاطرة أزجيها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة ، حصن العربية ورمز مجدها الشامخ ، مع الاحترام العميق إلى

رئيسنا الجليل الأستاذ الدكتور إبرهيم مدكور، حفظه الله ، وإلى علمائنا الأفذاذ ، شيوخ العربية وفرسانها الذائدين عن حياضها والعاملين فى سبيل رفعة شأنها ، جزاهم الله عن العروبة والإسلام خير الجزاء .

عبد الكريم خليفة
عضو المجمع
ورئيس مجمع اللغة العربية الأردنى



دراسات في النظام الصوتي الصرفي

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقـــدمة :

تنبه نفر من علماء العربية القدامى فردوا كثيرًا من المواد اللغوية إلى أُصولها المعنوية المشتركة ، والتي اشتقت منها تلك المواد ، وكان من هؤلاء ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه (مقاييس اللغة[1]) حيث يقول في مقدمته : « وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن قياس من تلك المقاييس ، ولا أصل من الأُصول ، والذى أومأْنا إليه باب من العلم جليل ، وله خطر عظيم ، وقد صدرنا كل فصل بأَصله الذى يتفرع منه مسائله .. » .

على أن العربى كان يحسّ من دخيلة نفسه وقوة طبعه ، ولطف حسّه ، أن الاشتقاق قانون نفسى مطرد لا يتغير ، لا يحيدعنه ، ولا ينفر منه .

وورد في كتاب الترقيص عن أبي حاتم « قال : سأَلت الأَصمعى : لم سُمِّيت مِنًى مِنى ؟ قال : لا أَدرى ، فلقيت أبا عبيدة فسأَلته فقال : لم أَكن مع آدم حين علمه الله الأَسماء فأَسأَله عن اشتقاق الأسماء ، فأَتيت أَبا زيد فسأَلته فقال : سميت مِنًى لما يُمْنَى فيها من الدماء[2] » .

وبشفافية الحسّ العربى رفض أَعرابى اشتقاق (مُسْحَب) اسم مفعول من (سَحب) الثلاثى المتعدى بدلا من (مَسْحوب) الذى هو الأَصل والقياس ، وذلك حين ارتاب أَبو عمر الجرمى في فصاحة أَعرابى ، فأَراد امتحانه ، وأَلقى عليه بيتاً هو .

كم رأَينا من (مُسْحَب) مُسْلحبٍّ
صـــاد لحمَ النُّسور والعِقبانِ

---

(١) تطلق المقاييس ، ويراد بها الاشتقاق الأكبر .
(٢) المزهر ١ / ٣٥٣ .

فأفكر الأعرابى فيه ، ثم قال : رُدَّ علىّ ذكر (المسحوب) حتى قالها مرات ، فعلمت أن فصاحته باقية .

لكن جاءت بعد ذلك (مدرسة الاشتقاقيين) حيث خرجت بالاشتقاق عن حدّه وطبعه ، وزادوا فيه تشويشاً وتهويماً ، فقالوا : إن (الرَّحْل) مشتق من الرحيل ، و (الخروف) منسوب إلى موعده فى الخريف ، و (الغراب) . من الغربة والإيذان بها حيث يعيش هذا الطائر ، و (الفرَس) من الافتراس ، و (الحمار) من لونه الأحمر ، و (الخيل) مشتق من الخيلاء[1] . وغاب عنهم أن المعانى الحسية أسبق فى الوجود ، وأنها أصل الاشتقاق والمعنوى فرع للحسّى . (فالجميل والجمال) أصلهما من (الجمل) عند العرب ، وكانوا يرونه أجمل الحيوانات ، كما اعتبروا أى شبه بين الإنسان والحيوان فى الصبر والاحتمال هو (جمال) أيضاً ، والله تعالى يقول : « فصبر جميل » .

و (البطلان) التى منها الباطل ضد الحق أصلها من كلمة (الباطل) بمعنى إبليس ، وقد ورد هذا المعنى الأصلى فى قول الله تعالى : « وما يُبْدِئُ الباطلُ وما يُعِيدُ[2] » .

(أ) الأصل الاشتقاقى :

يرى بعض العلماء أن الأصل هو الثنائى فرمى : أصلها الثنائى (رَمْ) حرك حرفه الثانى بفتحة مشبعة علامتها ألف ، فلامه ليست حرفاً ، بل إطالة أو إشباع الفتحة السابقة . والمثال (وثب) أصله الثنائى (ثبِ) زيدت فيه الواو تتويجاً . والأجوف (قام) أصله (قَمْ) أشبعت حركة حرفه الأول . أما المضاعف فهو مركب من حرفين مثل : لعْ لعْ ، مرْ مرْ ، فهو عبارة عن ثنائيين مكررين . ومن العلماء الذين يرون ثنائية الأصل ابن فارس والشدياق وجرجى زيدان والكرملى والدومنكى ، ولهم حجج كثيرة منها :

أن أصول الكلمات السامية كانت

---

(١) انظر فى ذلك قصة طريفة لأبى عمرو بن العلاء فى : المزهر ١ / ٣٥٣ (ط دار إحياء الكتب العربية)

(٢) سورة سبأ ، آية ٤٩ ، وفى الكشاف للزمخشرى (٣ — ٤٦٧) طبعة الاستقامة ١٩٥٣ م « الباطل إبليس لعنه الله والمعنى : ما ينشىء خلقا ولا يعيده وقال الزجاج : أى شىء ينشىء إبليس ويعيده ؟ فجعله للاستفهام » .

مؤلفة من حرفين اثنين ، ثم زيد فيا بعد على كل أصل منها حرف ثالث ، وقالوا : بأن الثنائيات صورة بعيدة مغرقة فى القدم ، ودليل ذلك التدرج الطبيعى ، والانتقال من هذه المرحلة إلى ما استقرت عليه الكلمات من ثلاثية الأصوات .

ويرى معسكر آخر أن أصل اللغة يرجع إلى الثلاثى ، وأنه لم يتطور عن غيره ، ولهم أدلتهم أيضاً ، على أنه يجب أن نشير إلى أن النظرية الثنائية مازالت فرضاً واحتمالا ، وأنها لم ترق إلى مجال القواعد الثابتة ، كما أنه اعترض على النظرية الثلاثية بأنها تنفى أصالة ماعدا الثلاثى ، وهم مع ذلك يلجئون فى إثبات نظريتهم إلى التأويل .

وعلى مذهب القائلين بأصالة الثنائى وتنميته لما فوقه إلى الثلاثى عن طريق تضعيف الحرف الثانى أو إضافة حرف علة إلى أول المادة الثنائية أو فى وسطها أو فى آخرها ، يرون أن اللغة وجدت فى أثناء تطورها فى المضعف ثقلا فراحت تبدل من أحد الضعفين حرفا من حروف العلة : انظر ما يلى :

كعّ تطورت إلى كاع .

ضرّ يضرّ ضرّا تطورت ضار يضير ضيْرا

ذم تطورت إلى ذام .

طبّ ، غمّ تطورت إلى طاب ، غام .

مدّ تطورت إلى ماد .

صرّ (الصوت) تطورت إلى صار .

حفّ تطورت إلى حاف .

غبّ تطورت إلى غاب .

طمّ يطمّ طموما تطورت إلى طما يطموطموا

هَمّ تطورت إلى همى

محى تطورت إلى محا .

حمّ (الحديد) تطورت إلى حمى

شجب تطورت إلى شجا (أحزن) .

هذا وقد يبدل أحد الضعفين نوناً مثل :

احرجّم تطورت إلى احرنجم .

اظّلم تطورت إلى انظلم [1] .

وأبدلت نوناً ، لأن النون حرف موسيقى محبب فى اللغة ، ولهذا يرى بعض الباحثين [2]

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٩ - . مصط جواد .
(٢) المرجع السابق .

أن وزن (افَّعَل) هو الأصل ثم تطور إلى (انفعل) فهى صورة جديدة للمطاوعة وهى فرع عن (افَّعل وافتعل) .

فالتضعيف هو الوسيلة الأولى لتنمية اللغة ونقلها من الثنائية إلى الثلاثية ، فالمضعف تولد منه على طريق الإبدال : الأجوف ثم الناقص وكأنه نوع من القطعة[1] (الترخيم) ثم المثال ثم السالم ، فالسالم جاء آخرا ؛ لأن زيادة حرف على المضعف أليق بحكمة الواضع فى التفنن فى نقصه ، إذ لو جعلت السالم أصلا لزم عنه العدول من الكمال إلى النقصان . والدليل على أصالة المضعف قراءة أبى حيوة (وعزنى فى الخطاب) (٢٣ سورة : ص) قال ابن جنى فى المحتسب (٢ / ٢٣٢ دار إحياء الكتب العربية تحقيق الأستاذ النجدى والدكتور عبد الفتاح شلبى) أصله :عَزَّنى غير أنه خفف الكلمة بحذف الزاى الثانية أو الأولى كما حكاه ابن الأعرابى من قولهم ، ظَنْت ذاك : أى ظننت ، هذا ويمكن لظاهرة المخالفة أن تفسر الصلة بين المضعف وبين الأجوف والناقص[2] :

الجبّ تطورت إلى الجوْب (القطع) .

دسّس تطورت إلى دسّى (وقد خاب من دساها) .

تسرر تطورت إلى تسرّى .

(وليملل الذى عليه الحق) تطور إلى (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) .

فهذه صور للتطور ورسوم للارتقاء .

على أن حدود التطور لم تقتصر على الأفعال واشتقاقها بعضها من بعض ، بل نرى من (الأفعال) ما تطور إلى (حرف) خالص انظر مثلا :

البدوىُّ عَلَى الجَبَلَ – فهى فعل ومع كثرة الاستعمال والتداول أصبحنا نقول[3] : البدوىُّ على الجبلِ فهى نفسها حرف جر ، والعلاقة بين المثالين واضحة مدلولا واستعمالا

كما كان الأصل الاشتقاق محك خلاف بين البصريين والكوفيين ، فيرى البصريون

(١) ثنائية الأصول اللغوية ١٢٦ للأستاذ حامد عبد القادر ، ونشر بمجلة المجمع ج ١١ .

(٢) حروف تشبه الحركات . د . إبراهيم أنيس ، ونشرت بمجلة مجمع اللغة العربية ج ١٦ .

(٣) البحوث والمحاضرات دورة ٣٣ مجمع اللغة العربية : من دلائل القدم فى العربية د . عبد الستار الجوارى .

أن المصدر هو الأصل والفعل فرع عليه ، والكوفيون على العكس يرون أن الفعل هو الأصل والمصدر فرع عليه .

وحجة البصريين منها : أن الفعل يدل على الحدث والزمان ، فلو كان المصدر مشتقاً من الفعل لدل على ما يدل عليه الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث ، كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وعلى ذات الفاعل والمفعول ، فلما لم يكن المصدر كذلك علم أنه ليس مشتقا منه .

كما استدلوا على أن المصدر هو الأصل بتسميته مصدرًا ، والمصدر هو الموضع الذى يصدر عنه ، ... فلما سمى مصدرًا دل على أن الفعل قد صدر عنه ، وكذلك احتجوا بأن قالوا : بأن المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للقيد ، فكذلك المصدر أصل للفعل .

كما احتج الكوفيون بأدلة منها : أن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ، ألا ترى أنك تقول : قاوم قياماً — فيصح المصدر لصحة الفعل ، وتقول : قام قياماً — فيعتل لاعتلاله ، فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه . كما تمسكوا بأن المصدر يذكر تأكيدا للفعل ، ولاشك أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد ، فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع[1] ... وهناك من الأدلة للفريقين غير هذا ، وأرجح رأى الكوفيين فى هذا النزاع مسترشدًا بما يلى :

١ — مايراه نفر من المستشرقين من أن أغلب الكلمات يرجع اشتقاقه إلى أصل ذى ثلاثة أحرف (لبعضها أصل ذو حرفين) وهذا الأصل فعل يضاف إلى أوله أو آخره حرف أو أكثر ، فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة .

٢ — أن العقلية الفعلية قد ساد على اللغات السامية ؛ لأن لأغلب الكلمات فى هذه اللغات مظهرا فعلياً . ففى الساميات الفعل هو كل[2] شىء ، أما من ذهب

(١) الإنصاف لابن الأنبارى : مسألة ٢٨ .
(٢) تاريخ اللغات السامية ١٤ ولفنسون .

إلى أن أصل المشتقات هو المصدر – فهو مذهب نشأ عن الفرس حيث بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية ، والأصل فى الاشتقاق عند الآريين هو : المصدر – فعلماؤنا متأثرون ومقلدون .

وليس النزاع الذى ذكرنا طرفاً منه وحده فحسب ، بل وقع خلاف فى دوائر البصرة نفسها حيث قال جمهورهم : إن المصدر متى ثبت أنه أصل للفعل ثبت أنه أصل للمشتقات بالواسطة ، إذ المشتقات متعلقات بالأفعال ، ومتى ثبتت فرعية المتعلق ، ثبتت فرعية المتعلق به ، وقال جماعة منهم السيرافى : المصدر أصل للفعل ، ولكنه ليس أصلا للمشتقات ، بل الفعل هو الأصل للمشتقات ، إذ لا يلزم من كون الفعل متفرعاً عن المصدر ، أن تكون متعلقات الفعل متفرعة كذلك عن المصدر ، بل ينقل السيوطى عن طائفة من المتأخرين اللغويين بأن : كل الكلم مشتق ، كما نقل عن طائفة من أهل النظر أن : الكلم كله أصل !! وإذا كنا قد رجحنا رأى الكوفيين فلا زال الطريق شائكاً ، فأى الأفعال هى الأصل ؟ يذهب بعض العلماء المحدثين إلى أن اسم الفاعل هو الأصل ، وبعضهم يذهب إلى أن صيغة الأمر هى أصل اشتقاق الأفعال . أما نحاة العرب فبعضهم يرى أن الفعل الماضى هو الأصل ، وبعضهم يرى أن فعل الحال هو الأصل ، وآخرون يرون أن فعل المستقبل ، إلى غير هذه الآراء . كما يرى بعضهم أن بدايات الفعل فى العربية إنما هى تطور من استخدام بعض صور اسم الفعل[1] ، أو أن الفعل إنما تطور عن كلمات استخدمت وقصد بها الاسم والفعل معاً ، ثم أخذ مدلول الفعل فيها يتحدد ، ويستقل بإضافة فكرة الزمن ، ويرى نفر من العلماء أن ننظر إلى (الجذر[2]) وهذا يحل مشكلة الأصل الاشتقاق ، فمسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها فى شىء معين ، والقدر المشترك بين الكلمات المترابطة . وأصح ذلك هو الحروف الأصلية الثلاثة ، فأنت إذا

---

(١) الفعل زمانه وأبنيته ١٢١ د . السامرائى .

(٢) مناهج البحث فى اللغة ١٨٢ د . تمام حسان .

نظرت إلى : ضرب ضارب مضروب مضرب ضرب ، رأيت أنها تشترك فى (ض ر ب) وتتفرع منها ، فهذه الحروف الثلاثة جذور العربية التى تتفرع منها الكلمات . فالفعل واسم الفاعل واسم المفعول إلخ صور من صور التعبير الشكلى للمادة التى لا يصدق عليها وصف بالفعلية أو الاسمية .

وفى كتب العربية نجدهم يتوسعون فيشتقون من أسماء المعانى ، فلقد اشتقوا من أسماء العدد وهى أسماء معان جامدة ، ففى المخصص[1] : كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم . كما اشتقوا من أسماء الأزمة ففى اللسان[2] : وأخرف القوم – دخلوا فى الخريف . كما اشتقوا من أسماء الذوات : يديته : ضربت يده ، فهوميدى ، ويُدِىَ : شكا يده[3] ، ومن العجيب أن العرب قد اشتقت من الحرف ، ففى الخصائص[4] : سألتك حاجة فلوْليْتَ لى : أى قلت لى (لولا) فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من (لو + لا) . ومعنى ذلك أن (الأصل) فى اللغة متعدد ، إذ قد اشتقت العرب من الأفعال ومن الأسماء الجامدة والمشتقة ومن الحرف .

وفى المشتقات تطالعنا أحوال عجيبة ، فقد نجد مصادر ولا أفعال لها ، كما أهملت بعض المفردات واستعملت جموعها ، كما استعملوا بعض المصغرات من غير أن يستعملوا لها مكبرًا ، كما روى عنهم أنهم أماتوا بعض المصادر . والحقيقة أن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها ، وقد يسبق بعضها بعضاً فى الوجود ، ولهذا لا يمكن أن تكون الأفعال حين وجدت وجدت معها مشتقاتها ، فقد تعيش اللغة زمنا وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده – حسب حاجة اللغة واستعمالاتها فى حضاراتها وبداوتها .

ملحوظتان :

١ – إذا ترددت الكلمة بين أصلين فى الاشتقاق فالتمس ما يرجح أحدهما ، وله وجوه :

(ا) كون أحد الأصلين أشرف .

---

(١) ١٧ / ١٢٩ .
(٢) ١٠ / ٤٠٩ .
(٣) اللسان ٢٠ / ٣٠٣ .
(٤) ص ١ / ٤٣٦ .

(ب) كونه أخص فيرجع على الأعم .

(جـ) كونه أسهل وأحسن تصرفاً .

(د) كونه أليق .

٢ ـ قد يعرض للفرع المشتق مع الأصل المشتق منه تغييرات منها :

(ا) زيادة حركة كعَلِمَ من العلْم .

(ب) زيادة مادة : كطالب وطلب .

(جـ) زيادة حركة وحرف كضارب من الضرب .

(د) نقصان حركة كفرْس من الفرس .

(راجع القائمة فى المزهر للسيوطى[١]) .

رسائل وقضايا حول الأصل الاشتقاقى :

هناك كلمات شائكة الدلالة ؛ لأن وجهات النظر تختلف فيها ، وأيسر شىء لدى اللغويين الاشتقاقيين أن يربطوا بين مواد لغوية زعموا أنها اشتقت منها ، وما ذلك إلَّا لأنهم فتنوا بالعربية حتى سمت على كل لغات البشر . وأما اللغات الأُخرى غير العربية « فإن القول بأن لها أى فضل يعتبر قولًا منبوذًا عند أهل الملل[٢] »

ومن هذه الصيغ التى ردُّوها إلى العربية التى اشتقت منها :

(ا) « جَنَّات عَدْن[٣] » فاشتقت من : عَدَنت الإبل بمكان كذا وكذا ، إذا ألفته ولزمته ، ومثل قيل لمعدن الذهب والفضة : معدن ، لأن جوهر الذهب والفضة يثبت فيه لكن الواقع أن (عدن) ورد ذكرها فى سفر التكوين[٤] « وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقًا » فهى علم على مكان[٥] وعن جويبر فى تفسيره المعرَّب أنها بالرومية ، وقيل : بالسريانية وفسرت بالكروم والأعناب .[٦] فكيف إذن تشتق (عدن) عند علماء العربية من (عَدَن) بالمكان ، إذا أقام وخلد به !

---

(١) ص ١ – ٣٤٩ .

(٢) كتاب الزينة لأبى حاتم الرازى ١ / ١١ .

(٣) سورة مريم : ٦١ ، وطه : ٧٦ .

(٤) الإصحاح الثانى : الآية ٨ – ٩ .

(٥) كتاب الزينة ٢ / ٢٠١ .

(٦) المتوكلى للسيوطى ٨ ، ٩ (ط دمشق ١٣٤٨ هـ) .

بل يذهبون أكثر من ذلك حيث يقولون : يَعدِن ويَعدُن : لغتان !! فالكلمة ليست عربية حتى يمكن ردها إلى أصل عربي .

(ب) من المعروف فى الدراسات اللغوية المقارنة أن السين فى العبرية والآرامية تقابلها الشين فى العربية ، وقد وردت (سكّين) فى العبرية ، و (سكّينًا) فى الآرامية ، والكلمة (سكّين) دخيلة فى العربية ، انتقلت إليهـا من الآرامية بسينها ، ولو كانت الكلمة أصيلة فى العربية لقيل : (شكين) بالشين[1] .

وعلى الرغم من أن الكلمة دخيلة إلّا أن ابن جنى يشتق منها حيث يقول : « وكذلك سكين إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به[2] » .

ومن ذلك قول ابن جنى فى (المِسْك) بأنه فِعْل من « أمسكت الشيء ، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسّة عليه ، ولا يعدل بها صاحبُها عنه[3] فابن جنى يشتق منه على الرغم من كونه فارسيًّا .

وإذا كان (الإريس) بمعنى الأكار ليست عربية فلا عبرة بالفعل (أرَس) بمعنى : صار أكارا ، لأنه مشتق من الاسم المعرّب[4] .

ومن ذلك صيغة (ميناء) فقد خلطت المعاجم فى أصلها واشتقاقها ومدها وقصرها فبعضها ذكرها فى مادة (مون) أو (مين) لأن الميناء هو مرفؤ السفن حيث تموّن فيه .

واللسان يذكرها فى (وَنى) حيث يقول : وهو مفعال من الوَنَى ، وهو الضعف ، والفتور ، وكأن السفن تنى فيه ، أى تفتر عن سيرها ، والميناء يمد ويقصر كذلك . ويرى نفر من الباحثين أن كلمة (مينه) فى المصرية القديمة هى المرسى للسفن ، ورسمها الرمزى عندهم : مركب أو سفينة .

والحفريات والآثار تؤكد أن مصر أول أمة استخدمت الملاحة والنقل النهرى وإقامة المراسى على الشواطئ ، وما زالت حيث كانت تحمل السفن من مرساها

---

(١) نصوص فى فقه اللغة العربية ١ / ١٨٣ ، دكتور يعقوب بكر – هامش .
(٢) الخصائص ٣ / ٢٦٧ .
(٣) الخصائص ٢ / ١١٨ .
(٤) دراسات مقارنة فى المعجم العربى ٨٦ وما بعدها ، للدكتور يعقوب بكر (بيروت) .

الفول الذى تنتجه أرض الصعيد . ومثلها كلمة (المنيا) فى الصعيد تحمل اسم : منية الفولى ، منيا القمح ، على بحر مويس ، أو بحر موسى فى الشرقية ، وكانت المرسى التى تحمل منه السفن — محصول القمح فى الدولة القديمة فى : بوبسطه وصا الحجر[1] فالكلمة ليست عربية ، ومن التعسف أن تردها المعاجم فى الاشتقاق إلى أصل عربى

(ج) وهناك صيغ كثيرة وقع فيها خلاف كبير حول الأصل الذى اشتقت منه ، لاسيما فى الألفاظ المعربة :

١ — فالمئزاب ، ومعناه بالفارسية : بُل الماء ، رأى يرى أنه من أصل فارسى ، ورأى يرى أنه من أصل عربى ، ومن دعاة العربيـة ابن فارس ، ومن دعاة الأصل الفارسى الأصمعى

٢ — إبليس ، أصـله يونانى معرّب ، وبعضهم يرى أن الأصل عربى .

٣ — جهنّم ، عبرية الأصل ، وقيل : أصلها عربى[2]

٤ — خِوان ، فارسى ، وحكى عن ثعلب أنه قال وقد سئل : أيجوز أن يقال : إن الخوان سمى بذلك لأنا نتخوّن ما عليه ، أى نتنقّص ؟ فقال : مايَبْعد ذاك[3] .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى قول أبى بكر محمد السرى السراج فى رسالة الاشـتقاق[4] ، فى (باب ما يجب على الناظر أن يتوقاه ويحترس منه) قوله : « ومما ينبغى أن يحذره (الناظر) غاية الحذر أن يشتق من لغة العرب لشىء قد أخذ من لغة العجم ، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت » ، ويقول ابن جنى فى المحتسب[5] : « وإذا جاز للعرب أن تخلّط فى العربى وهو من لغتها فكيف يكون — ليت شعرى — فيما ليس من لغتها ؟! » .

---

(١) صحيفة الأخبار القاهرية (٣٠ مايو ١٩٧٣م) .
(٢) المعرب للجواليقى ١٠٧ (تحقيق الشيخ أحمد شاكر — دار الكتب المصرية) .
(٣) نفسه ١٢٩ .
(٤) ص ٣١ (ط . دمشق) .
(٥) ص ١ / ٨٠ .

والحقيقة أن دراسة (الأصـول) تحتاج إلى معرفـة دلالات المـادة فى الساميات وتطورها ، والعرب لم يكونوا على معرفة كاملة لبعض اللغات السامية ، ولهـذا اسـتعانوا بالاشـتقاق لالتماس التخريجات لتلك الألفاظ ، وفسّروها كما لو كانت عربية محضة كما سبق .

(د) وهناك صيغ كان الأجدر بها أن تظل بمنأى عن فرع الاشتقاق ، من ذلك :

١ - قولهم فى الإتباع : شَيْطان لَيْطان ، وخَراب يَباب ، وحَسَن بَسَن ، ، وجائع نائع[١] . والغرض من هذا الإتباع تأكيد الكلمة الأولى عن طريق المجانسة الصوتية ، مع مخالفة فى بعض الحروف ، وقد سئل بعضهم عن ذلك فقال : هو شيء نَتِدُ به كلامنا ، أى نقوّى به كلامنا . ولكن نفراً من اللغويين حاول جاهداً أن يأتى (بأصل) للكلمة الثانيـة ، ويوضح اشتقاقها ، فليطان - من لاط بقلبى ياوط أى لصق ، كما حاولوا أن يجدوا أصلًا ومعنى لكلمة (بَسَن) وهو من : بَسَّس السويق[٢] .

ومما يؤكد أن الكلمة الثانية لا معنى ولا اشتقاق لها ما جاء فى الجمهرة[٣] : « قال أبو بكر : سألت أبا حاتم عن (بَسَن) فقال : لا أدرى ما هو » . وأبو حاتم بقوله : « لا أدرى » تخلص من التعسف ، وأمن العثار الذى تردى فيه آخرون حين أرادوا المخارج فوقعوا وأوقعوا فى المحارج .

٢ - بل حاول كثير من اللغويين أن يرجعوا أسماء الأشخاص والقبائل إلى أصول لمجرد الاشتراك فى الأصوات ، ومن هؤلاء ابن دريد فى كتابه (الاشتقاق) وإليك نماذج التقطناها من هذا الكتاب :

(ا) عَكّ - من قولهم : عَكّ يومنا ، إذا اشتد حره[٤] .

---

(١) المنصف لابن جنى ٢ / ٣٢٥ (ط . إحياء التراث) .
(٢) الكافى فى اللغة ٥٥ ، طاهر الجزائرى (ط . كردستان) القاهرة ١٣٢٦ هـ) .
(٣) ص ٣ / ٤٢٩ .
(٤) الاشتقاق ٢٨٧ (ط . وستنفلد) .

(ب) هُجَيْم – من قولهم : هجمت البيت ، إذا هدمته[1] .

(ج) هُذَيل – يقال : هَوْذَل الرجل ببوله ، إذا اضطرب بوله فقد هوذل[2] .

ثم نراه يتخبط في الاشتقاق ، ويكثر من الزعم كما في حديثه عن (حمير)[3] مع أن لغة حمير مخالفة للغة مضر وربيعة ولا شك أن كثيرًا من علمائنا حاولوا وتكلفوا وتسكعوا في بُنيّات الطرق ، ذات اليمين وذات الشمال حتى ربما قالوا قولًا في لفظ ،ثم قالوا خلافه في نظيره[4]

(ب) الأصل التاريخي (٥) :

أشرت في أول الكلام إلى الأُصول المتخيلة تلك التي أخذ بها علماؤنا الصرفيون ثم سرنا شوطًا طويلًا مع الأُصول والفروع في كثير من أبواب الصرف والعربية ، والحديث الآن عن نوع جديد وهو (الأَصل التاريخي) والهدف منه أن نقتفي آثار الصيغة في أطوار حياتها ، وما أصابها عبر التاريخ ، وأرى أن البحث في مثل هذا أجدى من حديث علماءِ الصرف في الأُصول التي تخيلوها في باب الإعلال وسأكتفي بمثل يسيرة :

١ – ذكر أبو الطيب اللغوي في كتابه الإبدال أنه يقال : ولد في الدّفْءِ .. وطيءٌ تقول : في الدَّثَئِ – إذا ولد في الشتاءِ وقبل الصيف . وأرجح أن الصيغة بالثاءِ أصل ، ففي اللغات العربية الجنوبية القديمة :دثأً – معناها الربيع أو محصولات الربيع ، وهو معنى (دشْأً) و (ديش) في الأَكدية بمعنى العشب الكثيف . وفي العبرية (دِشِأ) بمعنى العشب الغض ، وفي أرامية العهد القديم والأَرامية اليهودية (دِتْئا) والثاءُ في العربية تكون شينًا في الأَكدية والعبرية ، وتاء في الأَرامية[6]

---

(١) الاشتقاق ١٠٨ ، وانظر : مادة عكل وتميم ومهرة بن حيدان وعذره وكندة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الاشتقاق ٣٠٦ .

(٤) انظر : المزهر ١ / ٣٥٣ ، ٣٥٤ حيث زعموا أن الثوب إنما سمى ثوبا لأنه ثاب ، أى رجع لباسا بعد أن كان غزلا .

(٥) انظر حديثا قيما في : دراسات في علم اللغة القسم الثاني ١١٣ فما بعدها دكتور كمال بشر ط دار المعارف بالقاهرة .

(٦) نصوص في فقه اللغة العربية ٢ / ٢٩٤ ط بيروت . د . يعقوب بكر .

٢ – يقول السيرافي في شرحه على الكتاب[١] « كلمة ست في العدد أصلها سدس ودعاهم إلى ذلك كثرة استعمالهم إيَّاه في كلامهم ، ولأن السين مضاعفة وليس بينهما حاجز قوى ، والحاجز أيضًا مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينًا فتلتقي السينات ، ولم تكن السين تدغم في الدال لما ذكرت لك فأبدلوا من السين أشبه الحروف بها من موضع لئلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا ، وذلك الحرف التاء كأنه قال : سِدْتٌ – ثم أدغموا الدال في التاء[٢] .

أما النظرة الحديثة فترى أن الأصل : سدث – كما هي في اللغات اليمنية القديمة والأجريتية شبهت الدال بالثاء بالانقلاب إلى الهمس بدل الجهر ، وشبعت الثاء بالدال بالانقلاب إلى الشدة بدل الرخاوة فصار الحرفان تاءين وأدغمت التاء في التاء ، فالدال شديدة مجهورة والثاء مهموسة رخوة ، والتاء شديدة مهموسة فقلبت الدال تاء لتتشابه مع الثاء في الهمس ، وقلبت الثاء تاء لتتشابه مع الدال في الشدة .. والسين النهائية في سادس كانت ثاء ... وقد قلبت سينًا لتتشابه مع السين الأُولى ، وكلاهما – مهموس رخو .

٣ – ورد عن أبي عبيدة عن يونس : أن أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبي عليه الصلاة والسلام ، والبرية ، والذرية[٣] . وزاد ابن سيده كلمة أخرى وهي : الخابية[٤] فالعرب تركت الهمز فيها إلَّا أهل مكة ، فإنهم يهمزون هذه الأحرف ، ولابد قبل الحكم عليها من تحليلها : فالبرية : معناها الخلق وهي من برأ الله الخلق ، فأصلها على ذلك الهمز ، وقد تأُخذ من البرى – وهي

---

(١) ٦ / ٥٩٣ مخطوط بمكتبة تيمور رقم ٥٢٨ نحو .
(٢) انظر الكتاب ٢ / ٤٢٨ ط أولى .
(٣) إصلاح المنطق ١٥٩ .
(٤) المخصص س ١٧ / ١٥٣ ، س ١٤ / ٨ .

التراب ، فأصلها غير الهمز واليـاء أصلية[1] .

والنبي : أصله من النبأ وقد جمع على : نبئاء فأصله الهمز ، وينقل ابن سيده عن سيبويه قوله : وليس أحد من العرب إلّا وهو يقول : تنبأ مسيلمة . ولكن كيف يتفق هذا (أى أن الأصل فيه الهمز) مع ما روى من أن رجلًا قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) : يا نبئ الله - بالهمز ، فقال له : لا تنبر باسمى : أى لا تهمز[2] ، وقد يكون الرسول إنما كره (النبئ) بالهمز ، لأنه توهم أنه من : نبأ من أرض إلى أرض ، والمعنى : يا من خرج من مكة إلى المدينة على غير وجه التكريم . على أن شبهات حامت حول هـذا الحديث[3] ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع من ينشده :

يا خاتم النبئـاء إنّك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هداكا

ولم يعترض على هذا . وفى شرح - المفصل[4] : أن التخفيف لازم لكثرة الاستعمال بحيث صار الأصل (الهمز) مهجورا . وبعضهم يرى أنه من النباوة ، أى الرفعة ، فلا يكون على هذا أصله الهمز ولا تخفيف فيه ، ومن الذى أصله الهمز (الذرية) إذا أخذت من ذرأ الله الخلق ، فإن أخذت من الذرّ واليـاء للنسب ، فلا تكون الهمزة فيها أصلية[5] .

٤ - ترعة : الباب بالسريانية ، ثغر : أى فمّ ، واشتقاقه من : ثَغره يثْغَره بمعنى شقَّه . وهما من أصل واحد فالثاء فى العربية تقابل التاء فى الآرامية والشين فى العبرية ، فالمادة العربية (ث غ ر) تقابل العبرية (شَ عَ رَ) ، أى باب والآرامية (ت ع ر) ومدلول المادة فى الساميات : الباب أو الفتحة أو الشق . وفى اللسان : (ترع) « إن منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة » حديث شريف . والترعة : الباب . والصيغة الآرامية تحولت بالقلب

---

(١) اللسان ١ / ٢٢ .
(٢) اللسان ٧ / ٤٠ .
(٣) الإتقان للسيوطى ١ / ١٠٠ ط حجازى .
(٤) انظر ٩ / ١٠٩ .
(٥) انظر المخصص ١٤ / ٨ ، اللسان ١ / ٣١ .

المكانى إلى (ت ر ع) ، وألحقت بها الفتحة الطويلة للتعريف فصارت (ت ر ع ا) ، وفى العربية حسبنا أن الفتحة الأخيرة التى على العين هاء تأنيث وعاملناها على ذلك ، مع أنها فى الأصل علامة التعريف[1] .

٥ – رَكْبة – نراها فى الأكدية birke ، وفى العبرية בֶּרֶךְ bérek ، وفى الآرامية burkā ، وفى الحبشية[2] berk لكن العربية آثرت الصيغة المقلوبة (ركبة) وهى الفرع ، وأعرضت عن الأصل (بركة) بدليل قولنا فى العربية (برك الجمل)[3] . ويلاحظ أن معرفة الأصل والفرع لا يكفى فيها فحص (المادة) وحدها كما تقدم من الأمثلة ، بل لابد من ملاحظة (الدلالة) وتتبعها على مدى التاريخ الطويل إذ المعنى عنصر أساسى عبر عنه الإنسان بهذه الألفاظ والأصوات .

فالاعتماد على المعنى – فى معرفة الأصل والفرع – من الأهمية بمكان لا يقل ، إن لم يزد ، عن الاعتماد فى الاقتصار على معرفة الألفاظ والأصوات وحدهما فى ذلك ، فالمعنى إذا كان عامًا مبهما كان ذلك دليلًا على أن اللفظ ضارب فى القدم سابق .

أما أنواع التخصص فى المادة والتأنق فيها فى خيال الإنسان لمعنى لاحق ، وطور متأخر ، خذ مثلًا كلمة (اللبن) فتخيل الإنسان لها يجب أن يكون أقدم من تخيل الفروق بين أنواع اللبن ، من : السملج[4] (الحلو الدسم) والسامط (ذهبت عنه حلاوة الحليب ولم يتغير طعمه) والقوهة (تغير قليلًا وفيه حلاوة) والممحل (إذا أخذ شيئًا من طعم) والخامط (إذا أخذ شيئًا من رائحة) والهجيمسة (يحقن فى السقاء الجديد ويشرب قبل أن يحمض) ومن ذلك أيضًا كلمة الخاثر – فهو أقدم من تخيل الفروق بين أنواع الخاثر من العكلط أو العثلط (خثر جدًّا أو تكبد) والملهاج (لم تتم خثورته) ، والمبحثر (تحبب وانقطع) والهادر

(١) علم اللغة بين التراث والمناهج ٨٧ د. محمود حجازى المكتبة الثقافية القاهرة .
(٢) التطور النحوى ص ٢٢ برجشتراسر .
(٣) يقول الأب أنستاس الكرملى : وقالوا : الركبة وكان الحق أن يقال : البركة ؛ لأنهم اشتقوا منها : برك ولم يقولوا : ركب . نشوء اللغة العربية ١٠٦ ط العصرية بمصر .
(٤) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٢٢ من مقال للدكتور محمد كامل حسين .

(خثر أعلاه وأسفله دقيق) والإدل (تكبد ولم ينقطع) والمذقر (الماء ناحية واللبن ناحية) والمطثر (علا زبده وخثوره) والهجيمة (الخاثر من لبن الشاة) والروب (الخاثر لم ينزع زبده) والمظلوم (ما يشرب قبل الروب) .

فكل هذه المعانى من تخصيص وتحديد وحضارة نشأت فى طور متأخر عن معنى (اللبن) وهو المعنى العام ، ولعل بعض المتخصصين والمتفننين فى صناعة الألبان كان يخفى عليه بعض هذه الأنواع للبن ، فقد حكى ابن خالويه عن نحوى بغيض كان يتكلم بالإغراب إلى بائع اللبن يريد لبنًا غليظًا فقال : يا لبّان ، أعندك لبن عثلط عليط عجلط[1] ؟ فقال له اللبّان : تنصرف أو تصفع ؟ أو ربما بعضنا ممن نشأ فى المدن لا يعرف معنى كلمة (شرش) وهى نوع من اللبن أيضًا

وبهذا كله يكون فهمنا أكثر اتساقًا مع الواقع اللغوى ، واعتمادًا على التحليل العلمى ورعاية لظروف التطور التاريخى ، والساميات أخوات العربية

٦ – إن كثيرًا من الظواهر اللغوية تسربت من الساميات إلى العربية ، ونعرض هنا ظاهرة واحدة تتصل بالأصل التاريخى لضمير المتكلم :

١ – فى كتاب تاريخ صنعاء لإسحاق ابن جرير الصنعانى[2] أن أم وهب بن منبه قالت لابنها : رَأَيْتُ بنحلم كولْدتُ ابنًا من طيب[3] .

٢ – وفى الجزء الثانى من الإكليل :

إلى سمعة (أو شمعة) بنت ذى مراثد كُنْتُ إذا وحمتُ[4]

٣ – روى الأصمعى ، قال الفرزدق :

---

(١) العثلط أو العكلط : ما خثر من اللبن أو تكبد

(٢) لوحة ١٦٧

(٣) الطيب : الذهب بالحميرية والمعنى : قالت : رأيت فى الحلم كأنى ولدت ولدا من طيب .
Rabin Ancient West Aralian p, 48.

(٤) والمعنى : كنت إذا اشتهيت .

رأيت أعرابيًّا بمكة ومعه عجوز وغلامان وهو يقول :

(أنَّكَ وَهَبْكَ زائدًا ومزيدًا)[1]

والعجوز تقول : إذا شِئْكَ إذا شِئْكَ !

٤ – وروى أبو زيد : سمعت أعرابيًّا يقول لآخر : سُؤْكُ بك ظنًّا[2]

٥ – وروى ابن قتيبة[3] : أن سحيمًا عبد بنى الحسحاس الشاعر العربى المخضرم كان إذا أنشد شعرًا جيدًا يقول : أحسنك[4] والله

٦ – يقول ابن جنى : وأنشدنا أبو على :

يابن الزبير طالما عَصَيْكا

وطالما عَنَّيْتَنَا إِلَيْكا

لنضربَنْ بسيفنا قَفَيْكا[5]

وفى نوادر أبى زيد[6] أن الأبيات لرجل من حمير . وفى إبدال أبى الطيب[7] :

(وطالما دَعَوْكَنا إِلَيْكَا)

أى دعوتنا

وتحليل هذه الشواهد :

(١) أن بعض اللغات السامية كانت تستخدم الكاف ضميرًا متصلًا للمتكلم المرفوع ، وقد بقى ذلك الاستعمال وعاش فى اللغات : الأكادية والحبشية والحميرية كما تصورها الكتب العربية وفى بعض لهجات جنوب بلاد العرب الحديثة ، كالمهرية والشحارية والسقطرية والبوتاحادية والحرسوسية ، وكذلك فى قضاء حراز غرب صنعاء ، وقضاء الطويلة شمال غرب صنعاء كما أن بعض الجماعات السامية الأخرى استخدمت الكاف ضميرًا متصلًا للمخاطب المرفوع قياسًا على كاف المتكلم ثم فرقت بينهما بالحركات فضمت كاف المتكلم فى الفعل الماضى ، وفتحت كاف المخاطب .

---

(١) والمعنى : أنت وهبت زائدا ومزيدا ، وإذا شئت ، إذا شئت إبدال أبى الطيب ١ / ١٤١ .

(٢) والمعنى : سوت .

(٣) الشعر والشعراء ٢٤١ .

(٤) يعنى : أحسنت (سر الصناعة ١ / ٢٨١) .

(٥) خزانة الأدب ٤ / ٤٢٨ (تحقيق عبد السلام هارون) .

(٦) ص ١٠٥ .

(٧) ص ١ / ١٤١ (تحقيق عز الدين التنوخى – دمشق) .

وبعض الجماعات السامية رأت أن هذه الكاف التي كانت تستخدم للمتكلم المرفوع تلتبس بكاف المخاطب فاستغنوا عنها ، واستخدموا التاء كضمير متصل مرفوع للمتكلم ، وحركوها بالضم للتفرقة بين المتكلم والمخاطب . أما العربية - فجانست بين المتكلم والمخاطب فاستخدمت التاء للمتكلم والمخاطب مضمومة للمتكلم ، ومفتوحة للمخاطب[1] .

(ب) ويعلل ابن جني لذلك فيقول : أبدل الكاف من التاء لأنها أختها في - الهمس[2] ، ويقول الأخفش : إن شئت قلت : أبدل من التاء الكاف لاجتماعها معها في الهمس ، وإن شئت قلت : أوقع الكاف موقعها وإن كان في أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل ، لإقامة القافية . وقال ابن هشام : ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان ضمير الرفع كما زعم الأخفش وابن مالك ، وإنما الكاف بدل من التاء بدلًا تصريفيًّا[3] .

(ج) يرى بعض علمائنا المحدثين أن تعليل علماء العربية القدامى لوقوع - الإبدال بين التاء والكاف غير صحيح ؛ إذ الكاف من أقصى اللسان ، والتاء من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، ولا نعرف في السامیات التبادل بينهما[4] .

(د) أن الكاف هي الأصل في تاريخ الجماعات السامية القديمة للمتكلم . والمخاطب ، والدليل على ذلك أنه لو كانت التاء هي الأصل لافترضنا أنها قلبت كافًا في بعض اللغات السامية بغير علة مفهومة أما إذا كانت الكاف هي الأصل فهمنا سبب إبدالها تاء بسهولة وهو : أن التاء موجودة في المخاطب فأدخلوها على المتكلم أيضًا قياسًا على المخاطب ، ويؤكد ذلك أن الكاف لا تزال على حالها في بعض

---

(١) ضمير المتكلم المرفوع . د . خليل نامى - فصلة من مجلة كلية الآداب م ١٩ ج ١ .

(٢) سر الصناعة ٢٨١ .

(٣) الخزانة ٤ / ٤٢٩ .

(٤) دراسات في اللغة العربية ٨٦ د . خليل نامى (دار المعارف) ولكنى أرى جواز التبادل بين التاء والكاف لاتحادهما في الصفة وهى : الشدة والإصمات والانفتاح والهمس والاستفال ، وإن اختلفا مخرجا ، أما القول بالتبادل بينهما هنا بين الضميرين التاء والكاف فلا أراه لما سبق تعليله .

اللغات السامية[1] ، وأن الضمير الأصلى فى أقدم اللغات السامية هو (كو) ، أوليس (تو) .

أما علماء العربية القدامى فيرون أن (التاء) هى الأصل ، وأنها قلبت كافًا ، وعذرهم فى ذلك أن الدراسات المقارنة لم تظهر فى زمنهم ، بدليل أنهم كانوا يصفون هذه الظواهر بقولهم : هى لكنة أجنبية !

٧ – ومن الأصول اللغوية التاريخية التى التى لم يخالف علماء العربية التوفيق فيها أنهم عندما وجدوا صيغًا مختلفة عن الفصحى من مثل : (هوىّ) بدلًا من هـواىَ ، و (قفىّ) بدلًا من قفاىَ ، و (عَصَىَّ) بدلًا من عصاىَ ، و (فتَىّ) بدلًا من فتاىَ ، و (بُشرىّ) بدلًا من بُشراىَ ، و (مَحيّ) بدلًا من محياىَ ، و (هدىّ) بدلًا من هداىَ فى لهجة هذيل عللوا ذلك بقولهم : إن الألف انقلبت إلى الياء فى لهجة هذيل .

وقد وردت للهجة شواهد شعرية كثيرة[2] وأيّدتها قراءات قرآنية[3] ، ولهذا يصفون هذه الظاهرة بالجواز مرة ، وبالحسن مرة أخرى[4] .

ومفاد كلام النحاة أن الألف هى الأصل القديم فى الكلمات السابقة ، وأن الياء تطورت عنها . ولا نوافق النحاة على رأيهم لـما يأتى :

١ – أن العكس هو الصحيح ، والياء هى الأصل التاريخى ، لوجودها فى كثير من الكلمات قبل أن تتطور تلك الياء إلى الألف ، ومما يؤيد ذلك أن بعض القبائل العربية كانت تقول : هذه أفعوْ ، وبعضها يقول : هذه أفعىْ ، وآخرون ينطقونها : أفعأ بالهمز[5] . ويؤكد ذلك ما روى عن

---

(١) الفلسفة اللغوية : جرجى زيدان ١١٨ هامش (دار الهلال) .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٧٣ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١ / د فما بعدها (والبحر المحيط ١ / ١٦٩ ، وحاشية الأمير على المغنى ٢ / ٩٧ ، وجمهرة ابن دريد ٣ / ٤٨٨ ، والمحتسب لابن جنى ١ / ٤١٧ ، مخطوط بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير .

(٣) انظر : مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٥ ، ٦٢ ، والبحر ٤ / ٢٦٢ ، ٥ / ٢٩٠ .

(٤) شرح التسهيل لابن مالك ٤٦ ط مكة ، وحاشية الصبان على الأشمونى ٢ / ١٨٥ (ط الميمنية) .

(٥) الكتاب ٢ / ٢٨٧ (بولاق) وشرح السيرافى على سيبويه ٥ – ٤٤٠ (مخطوط بالتيمورية رقم ٥٢٨ نحو وشرح الحماسة للمرزوقى ٨٢٩٢ ، والهمع ٢ / ٢٠٦ ، وشرح التصريح ٢ / ٣٣٩ ،

ابن عبَّاس رضى الله عنهما حين قيل له : إنى قتلت حيَّة وأنا محرم ، فقال : هل نهشت إليك ؟ قلت : لا ، قال : لا بأس بقتل الأفعوْ ، ولا برمىْ الحدوْ[1] .

وهذا هو الطور الأول من أطوار النطق والأصل التاريخى له ، ثم تطور فى — الفصحى إلى الألف فصار : أفعَى ، عصَا ، قفَا ، فتَى . ومعنى هذا أن الفصحى — تخلصت من صوت اللين المركب Diphthong وهو au (أوْ) و (ai) (أىْ) إلى الفتح (ā) .

٢ — أن الصفويين لم يكونوا ينطقون بنهاية هذه الأفعال مثل (بكَى ونجَى ، وأتَى ورعَى وبنَى) ألفًا ، وإنما كانوا ينطقونها ياء فيقولون : بكْى ورعْى ، وأتْى[2] . وهذا يؤكد أصالة الياء[3] . عكس ما رآه النحاة حين قالوا بأصالة الألف .

(ج) فى تاريخ الصيغ :

أولا : إن اللغة العربية ليست بدعا بين اللغات ، فهى تتطور وتتغير بفعل الزمن على ألسنة المتكلمين بها ، وحسبنا أن نثبت ذلك من خلال ما سمّى بصيغة (الافتعال) فهى تتأثر بالأصوات المجاورة لها ، لتيسير عملية النطق ، والدليل على ذلك :

(أ) أن بعض العرب يقول : قد

---

(١) الفائق فى غريب الحديث ١ / ١١٩ جار الله الزمخشرى (دار إحياء الكتب العربية ط . أولى) .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ — ٢٥ د . جواد على .

(٣) والدليل على ذلك وجود هذا الأصل القديم فى الحبشية الجعزية وهى لغة سامية ففيها : صحو تلو رمى فى : صحا وتلا ورمى وهذا هو الطور الأول أما الطور الثانى : فسكون هذه الحركة للتحفيف فى مثل : أفعى وقد تنبه إلى ذلك ابن جنى (فى الخصائص ٢ / ٤٧١ فما بعدها) هذا ومن الرجز الذى يصور الطور الثانى ما ورد فى (المحتسب ١ / ٦٨ بالتيمورية) من قول الراجز :

* إن لطى نسوة عند الغضى *
* يمنعهن الله ممن قد طغى *
* بالمشرفيات وطعن بالقنى *

وهذا الطور كان يشيع فى قبائل عربية قديمة (انظر : كتابنا اللهجات العربية فى التراث ٢ — ٤٩٨ ط تونس ، ومقالين أحدهما للدكتور رمضان عبد التواب ، والثانى لى فى الدورة ٤٦ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة اللهجات والطور الثالث : تطور الحركة المركبة السابقة إلى حركة الإمالة أما الطور الأخير من تطور الأسماء المقصورة ، والأفعال الناقصة والجوفاء فهو التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص فى العربية الفصحى .